الشفاعة
في
ضوء الكتاب والسنة

دكتورة/ سلوى عبد الرحمن محمد يونس
مدرس بجامعة الأزهر
قسم العقيدة والفلسفة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

جماد أول ١٤١٥ هـ - أكتوبر ١٩٩٤ م

مطبعة الفجـــر الجديد
٤٤ شارع الكبارى منشية ناصر بالدراسة

اهـــداء

اهـدى كتابى هـذا الى روح أمى وأبى

غفر الله لهما ..

اخوتى وأخواتى ..

أولادى داليـــا وسامر ودينا محمـود خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله رب العـــالمين نستعينه ونســـتغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ٠

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه الى يوم الدين ٠

أما بعد : فمن وحى القرآن الكريم والسنة المطهرة استقيت موضوع بحثى وهو الشفاعة ، فالشفاعة من المســـائل الثابتة فى القرآن والسنة ، ولذا كان القرآن الكريم والسنة المطهرة الشريفة هما السراج المنير الذى يضىء لى الطريق فى التعليق على ما قال به العلماء من أنواع الشفاعة ، وكانا هما الصراط المستقيـــم الذى خطيته لرفض أو قبـــول أقوال بعض العلماء ٠

وقد قسمت البحث الى فصلين ، الفصل الأول منهما تكلمت فيه عن الشفاعة عامة وقسمته الى مبحثين :

المبحث الأول تناولت فيه الحديث عن الشفاعة فى الدنيا منفية كانت أو مثبتة ٠

المبحث الثانى تناولت فيه الحديث عن الشفاعة فى الآخرة المنفية منها والمثبتة ٠

الفصل الثانى تكلمت فيه عن أنواع الشفاعة فى الآخرة وقسمته الى عدة مباحث :

المبحث الأول عن الشفاعة لأهل الموقف ٠

المبحث الثانى عن الشفاعة للمؤمنين خاصة ٠

المبحث الثالث عن الشفاعة للمذنبين أهل الكبائر ٠

المبحث الرابع عن الشفاعة لبعض الكفار ٠

أســـأل الله العون فانه نعم المولى ونعم النصـــير
وأسأله أن ينفع به ٠

د٠سلوى عبد الرحمن محمد يونس

تعــريف الشــفاعة

الشــفاعة فى اللغــة

جاء فى لسان العرب الشفع خلاف الوتر وهو الزوج تقول كان وترا فشفعته شفعا • وشفع الوتر من العدد شفعا صيره زوجا •

والشفيــع من الأعداد : ما كان زوجا تقول : كان وترا فشفعتــه بآخر •

والشفع : ما شفع به سمى بالمصدر ، والجمع شفاع •

وفى التنزيل « والشفع والوتر » قال الأســود بن يزيد : الشفع يوم الأضحى والوتر يوم عرفة • وقال عطاء : الوتر هو الله ، والشفع خلقه ، وقال ابن عبــاس : الوتر آدم شفع بزوجته ، وقيل فى الشفع والوتر : ان الأعداد كلها شفع ووتر •

وشفع لى يشــفع وتشفع : طلب • والشفيع : الشــافع ، والجمع شفعاء ، واستشفع بفلان على فلان وتشفع له اليه فشفعه فيه •

والشفاعة كلام الشفيع للملك فى حاجة يســألها لغيره • والشفاعة الدعاء ، وهو السؤال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم ، والشفع الذى يقبل الشفاعة والشفع الذى تقبل شفاعته •

وجاء فى تفسير القرطبى عن الشفاعة قال : أصل الشفاعة والشفعة ونحوها من الشفع وهو الزوج فى العدد ، ومنه الشفيــع لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعا •

ومنه ناقة شــفوع اذا جمعت بين محلبين فى حلبــة واحدة • وناقة شفيع اذا اجتمع لها حمل وولد يتبعها •

والشــفع ضم واحد الى واحد • والشــفعة ضم ملك الشريك الى

ملكك ، فالشفاعة اذا ضم غيرك الى جاهك ووسيلتك فهى على التحقيق اظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وايصال المنفعة الى المشفوع له(١) .

والشفاعة فى الاصطلاح :

هى ايصال الله تعالى الخير يوم القيامة عن طريق الرسول — صلى الله عليه وسلم — الى الأمم جميعا فى الموقف والى أمته على تفصيل فى ذلك بين المذاهب ، وعن طريق الأنبيـاء والرسل والملائكة والمؤمنـين أيضا .

---

(١) تفسير القرطبى سورة النساء آية ٨٥ .

الفصـــل الأول

الشـــفاعة عامـــة

المبحث الأول

الشـــفاعة فى الدنيـــا

والشفاعة فى الدنيا قد تكون مثبتة وقد تكون منفية :

أولا : الشفاعة المثبتة :

الشفاعة المثبتة فى الدنيا على وجوه :

١ ـــ الاستشفاع بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـــ الاستشفاع بالعمل الصالح ٠

٣ ـــ شفاعة الناس بعضهـــم لبعض فى الخير والشفاعة فى القتـــال مع الرسول ٠

أولا : الاستشفاع بدعاء الرســـول صلى الله عليه وسلم فى الدنيـــا جائز ، فكان الصحابة يتوســـلون فى حياته بدعائه يطلبون منه أن يدعو لهم ، وهم يؤمنون على دعائه كما فى الاستسقاء وغيره ، وكذلك الحال بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

« قال عمر رضى الله عنه ـــ لما خرجوا يستسقون ـــ اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليـــك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا ٠ ومعناه بدعائه هو ربه وشفاعته وســـؤاله » فالمراد هنا ليس الاقسام على الله بالرسول صلى الله عليه وسلم أو بعمه رضى الله عنه ، وليس المراد السؤال بجاهه عند الله ، اذ « لو كان كذلك لكان جاه النبى صلى الله عليه وسلم أعظم وأعظم من جاه العباس »[1] ٠

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٣ ٠

وقال ابن تيميـــة كان الرســـول صلى الله عليه وسلم « فى الدنيـــا يستسقى لهم ويدعو لهم وتلك شـــفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته »[٢] ٠

لذلك يمكن الاستشفاع بقوله باتباعى رسولك ومحبتى له وايمانى به وسائر أنبيائك ورســـلك وتصديقى لهم ٠ وفى ذلك الايمان بالله والعمل بمقتضى هذا الايمان من طاعة الرسول واتباع أوامره واجتناب نواهيه، فهـــذا كما قال ابن تيميـــة « من أحسن ما يكون فى الدعاء والتوســـل والاستشفاع »[٣] ٠

قال ابن تيمية : « فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه اجمال ، غلط بسببـــه من لم يفهم معنـــاه : فان أريد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا ، وهذا فى حياته يكون ، أو لكون الداعى محبا له مطيعا لأمره ، مقتديا به ، وذلك أهل للمحبـــة والطاعة والاقتداء ، فيكون التوسل اما بدعاء الوسيلة وشفاعته واما بمحبة السائل واتباعه ، أو يراد به الاقسام به والتوسل بذاته ، فهذا الثانى هو الذى كرهوه ونهوا عنه »[٣] ٠

ثانيا : الاستشفاع بالعمل الصالح :

من الشفاعة المثبتة فى الدنيـــا التى بمعنى الدعاء ما أحقه الله على نفسه للذين يعملون صالحا وذلك فى قوله تعالى : (ادعونى أستجب لكم) (اجيب دعوة الداعى اذا دعان) وهذا بالطبع بالعمل الصالح ٠

ولذلك صح الاستشفاع بقول الداعى بحق السائلين عليك ، أى لأنك وعدت السائلين الاجابة وأنا من جملة السائلين فأجب دعائى ، والدعاء

(٢) الايمان ص ٦٨ ٠

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٣ ٠

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة ٠

بهذا صحيـــح لأن هذا حق السائلين أوجبه الله على نفســه ، فهو أحق للسائلين أن يجيبهم[٤] .

والدليــل على أن الاستشفاع بالعمل الصــالح حق حديث الثلاثة الذين أووا الى الغار ، فان الصخرة انطبقت عليهم ، فتوسلوا الى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة وكل واحد منهم يقول : فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيــه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون .

جاء فى صحيـــح مسلم عن عبد الله بن عمر عن رســول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما ثلاثة نفر يمشــون أخذهم المطر فأووا الى غار فى جبــل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبــل فانطبقت عليهم فقال بعضهــم لبعض : انظروا أعمالا عملتموها صــالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم : اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران وامرأتى ولى صبية صغار أرعى عليهم فاذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدى فسقيتهما قبل بنى وأنه نأى بى ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قــد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عنــد رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهمــا وأكره أن أسقى الصبيـــة قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجــر فان كنت تعلم انى فعلت ذلك ابتغــاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فرأوا منها السماء . وقال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النســاء طلبت اليها نفسها فأبت حتى آتيها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجليها قالت يا عبد الله

---

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٢ .

اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت عنها فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم • وقال الآخر : اللهم انى كنت أستأجرت أجيرا بفرق أرز فلما قضى عمله قال أعطنى حقى فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعاءها فجاءنى فقال : اتق الله لا تظلمنى حقى قلت اذهب الى تلك البقر ورعائها فخذها فقال اتق الله ولا تستهزىء بى فقلت انى لا استهزىء بك خذ ذلك البقر ورعاءها فأخذه فذهب به فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقى ففرج الله ما بقى »(٥) •

قال النووى « استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للانسان أن يدعو فى حال كربه ، وفى دعاء الاستسقاء وغيره بصالح عمله ويتوسل الى الله تعالى به ، لأن هؤلاء فعلوه فاستجيب لهم ، وذكره النبى صلى الله عليه وسلم فى معرض الثناء عليهم ، وجميل فضائلهم »(٦) •

ثالثا : شفاعة الناس بعضهم لبعض فى الخير والشفاعة فى القتال والجهاد مع الرسول :

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) •

قد اختلف المفسرون فى الشفاعة المقصودة فى الآية الكريمة على قولين أحدهما أن تكون هى الشفاعة مطلقا ، والثانية أن تكون الشفاعة هنا خاصة بالقتال والجهاد •

---

(٥) متفق عليه من حديث ابن عمر واللفظ لمسلم كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٨ ص ٨٨ حديث رقم ٨ •

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٨ ص ٨٨ •

فقد ذكر ابن كثير أن الشفاعة المذكورة فى الآية هى الشفاعة مطلقا وهى السعى لايصـــال الخير للغير فى أى أمر من الأمور ولم يخصها بالقتال ، قال ابن كثير :« وقوله من يشفع ٠٠ » أى من يسعى فى أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك » « ومن يشفع شفاعة سيئة » أى يكون عليـــه وزر من ذلك الأمر الذى ترتب على سعيه ونيته » وقد استدل ابن كثير بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصحيح أنه قال : « اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء »[٧] ، فالشفاعة هنا غير محددة فى القتال ٠

ولفظ الحديث كما جاء فى صحيح البخارى عن أبى موسى « عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أتاه السائل — أو صاحب الحاجة — قال اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان رسوله ما شاء »[٨] ٠

ومن الآراء التى ذكرها النيسابورى أن المقصود بالشفاعة هنا هى « مطلق الشفاعة والحسنة منها هى التى بها روعى حق مسلم ودفع بها عنه شر أو جلب اليه خيرا وابتغى بها وجه الله ٠٠ والسيئة ما كان بخلاف ذلك » وعلى هذا التفسير للشفاعة يكون النظم فى الآية كما قال النيســابورى أن يكون التحريض على الجهاد نوع من أنواع الشفاعة وليس كلها ٠ قال : « على هــذا فوجه النظم أن التحريض على الجهاد يقف على الفعل الحسن وأنه نوع شفاعة »[٩] ٠

---

(٧) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣٠ ٠

(٨) فتح البارى بشرح صحيح البخارى باب قول الله تعالى : « من شفع شفاعة حسنة ٠٠ » حديث رقم ٦٠٢٨ ج ١٠ ص ٤٥١ ٠

(٩) تفسير النيسابورى هامش الطبرى ج ٤ ص ١١٩ ٠

وذكر قول مقاتل : « أن الشفاعة الى الله انما هى دعوة الله المسلم »

وقد استدل على ذلك بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك . . »[١٠] .

وقد قال الطبرى : « أنه غير مستنكر أن تكون الآية نزلت فى الشفاعة فى الجهاد والقتال « ثم عم بذلك كل شافع بخير أو بشر »[١١] .

وقد ذكر الطبرى أن الشفاعة المقصودة هنا هى الشفاعة فى الجهاد والقتال وهى سبب نزول الآية الكريمة ، فقال : « أن من يصر يا محمد شفعا لوتر أصحابك فيشفعهم فى جهاد عدوهم وقتالهم فى سبيل الله وهو الشفاعة الحسنة يكن له نصيب منها ، يقول يكن له من شفاعته تلك نصيب وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته ، ومن يشفع شفاعة سيئة ، يقول ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله على المؤمنين فيقاتلهم معهم وذلك هو الشفاعة السيئة يكن له كفلا منها . . »[١٢] .

وقد أختار الطبرى هذا التفسير للشفاعة بأنها فى الجهاد والقتال لأنه فى سياق الآية التى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بحض المؤمنين على القتال فكان ذلك بالوعد لمن أجاب رسول الله والوعيد لمن أبى اجابته أشبه منه من الحث على شفاعة الناس بعضهم لبعض التى لم يجر لها ذكر قبل ولالها ذكر بعد ذكر من قال ذلك فى شفاعة الناس بعضهم لبعض »[١٣] .

---

(١٠) النيسابورى ج ٤ ص ١١٨ .

(١١) تفسير الطبرى ج ٤ ص ١١٨ .

(١٢) المرجع السابق ج ٤ ص ١١٨ .

(١٣) تفسير الطبرى ج ٤ ص ١١٨ .

وقـــد أيد الامام محمد عبده القول بأن الشفاعة المذكورة فى الآية خاصة بالقتال ، « فالشفاعة الحسنة من يجعل نفسه شفعا لك وقد أمرت بالقتال وترا ، وهى شفاعة حسنه لأنها نصر للحق وتأييد له ٠٠ والشفاعة السيئة هى أن ينضم الى عدوك فيقاتل معه أو يخذل المؤمنين عن قتال له وهذه هى الشفاعة السيئة »(١٤) ٠

وقد أورد النيســـابورى عدة أقوال لبيان أنواع الشفاعة التى نزلت الآية بسببها فقال : « وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق آخر فى أن يأذن له الرسول فى التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن آخر عند مؤمن ثالث أن يحصل له عدة الجهاد فنزلت تلك الآية »(١٥) ٠

فالشفاعة المثبته هنا كما دلت عليها الآية هى الشفاعة الحسنة وهى اما أن يكون شفاعة الناس بعضهم لبعض فى الخير وأما أن تكون فى القتال مع الرسول وأما أن تكون فى الدعاء للمؤمن ٠

الشفاعة المنفية فى الدنيا :

الشـــفاعة المنفية هى الشفاعة السيئة التى لاتعود على صاحبها الا بالوبال والخزى وهى مثل الشفاعة السيئة التى ذكرت آنفا ٠

ومن أنواع الشفاعة المنفية التى ذكرت فى القرآن الـــكريم هى : شفاعة المنـــافقين الى النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يأذن لبعضهم فى التخلف عن القتال وقد بين الله سبحانه وتعالى ى أن الشفاعة انما تحسن اذا كانت وسيلة الى اقامة طاعة الله دون العكس ٠

وقد وقع ذلك بالفعل كما جاء فى سورة التوبة استئذانهم بالتخلف عن الجهاد وقد اذن لهم الرسول وعاتبه الله على ذلك ٠ قال تعالى : (لو

---

(١٤) تفسير المنار ج ٥ ص ٢٤٨ ٠

(١٥) تفسير الطبرى ج ٤ ص ١١٨ ٠

كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون • عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)[١٦] •

جاء فى تفسير ابن كثير : يقول الله تعالى « موبخا للذين تخلفوا عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وقعدوا بعد ما استأذنوه فى ذلك مظهرين أنهم ذووا أعذار ولم يكونوا كذلك (لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك) وقد اذن لهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعاتبه الله من ذلك عن عون قال : « هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا ؟ نداء بالعفو قبل المعاتبه » • وقال قتادة « عاتبه كما تسمعون »[١٧] •

كذلك من أنواع الشفاعة المنفية فى الدنيا الشفاعة فى ابطال حق من الحقوق ، كاسقاط حق المظلوم من الظالم فلا تقبل شفاعة الشافعين للظالم فى اسقاط ظلمه لغيره ولكن يعطى المظلوم من الظالم • قال ابن تيمية : « لايسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم »[١٨] •

ومن أنواع الشفاعة المنفية أيضا الشفاعة لاسقاط حد من حدود الله وذلك يتضح من قصة المرأه التى سرقت وكانت من الأشراف فقد أقام الرسول صلى الله عليه وسلم حد السرقه عليها ولم يسمع لشفاعة

---

(١٦) التوبة آية ٤٢ — ٤٣ .

(١٧) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٦٠ تفسير سورة التوبة .

(١٨) كتاب الايمان ابن تيمية ص ٦٨ .

من تشفع لها وقال عليه الصلاة والسلام : (لو فاطمة سرقت لقطع محمد يدها) ٠

جاء فى صحيح البخارى « عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترىء عليه الا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس انما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ٠ وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[١٩] ٠

وأيضا الشفاعة التى تطلب من غير الله تعالى شفاعة منفية فى الدنيا ، وهى الشفاعة الوثنية الباطلة ، وهى الشفاعة التى كانت أساس شرك العرب ومن قبلهم ، وتتمثل فى التقرب الى غير الله تعالى ليشفعوا لهم عند الله تعالى ليكشف مابهم من خير وليؤتيهم ماطلبوا من نفع ٠ قال تعالى : (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لايعلم فى السماوات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون)[٢٠] ٠

والشفاعة التى تطلب من غير الله منفية لأنها شرك وهى شرك لأن الشفاعة وهى الدعاء لدفع ضر أو لجلب منفعة أو للخروج من الكرب

(١٩) صحيح البخارى باب كراهية الشفاعة فى الحد اذا رفع الى السلطان رقم ٦٧٨٨ فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١٢ ص ٨٧ ٠

(٢٠) سورة يونس آية ١٨ ٠

عبادة ، والدعاء عبـــادة لقوله تعالى : (ادعونى استجب لكم) وقوله تعالى : (قل لله الشفاعة جميعا) ، واذا كانت الشفاعة أو كان الدعاء عبادة فلا تصرف الا لله تعالى ، واذا صرفت العبادة أو شيء منها لغير الله تعالى كانت شركا بالله ، وكذلك لو صرفت الشفاعة لغير الله كانت شركا ٠

ومن الشفاعة المنفية أيضا الشفاعة بالله على أحد بأن يكون الله هو الشافع لأحد حتى لو كان ذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد « أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم الاستشفاع بالله على الخـــلق ، فالشفعاء لا يشفعون عنده الا باذنه وكلهم يخافونه فكيف يعكس الأمر فيجعل هو السامع ، وهو الكبير العظيم الذى خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات بأسرها »[٢١] ٠

وما يدل على ذلك ماقاله جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : « جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فانا نستشفع بالله عليك وبك على الله ٠ فقال النبى : « سبحان الله ! سبحان الله » ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ٠ ثم قال النبى : « ويحك أتدرى ما الله ان شـــأن الله أعظم من ذلك أنه لايستشفع بالله على أحـــد من خلقه »[٢٢] ٠

وذلك لأنه « تعالى أعظم شـــأنا من أن يتوسل به الى خلقـــه لأن رتبة المتوسل به غالبا دون رتبة المتوسل اليه ، وذلك من سوء الأدب مع

---

(٢١) كتاب التوحيد محمد عبد الوهاب ص ١٣٦ ٠

(٢٢) القول الســـديد عبد الرحمن بن ناصر بن سعدى ص ١٣٦ رواه ابو داود ٠

الله فيتعين تركه ، فان الشـفعاء لايشـفعون عنـده الا باذنه وكلهم يخافونه » •

ومن الشفاعة المنفية أيضا انقسم على الله بأحد من مخلوقاته والتوسل بذاته سواء كان الرسول صلى الله عليه وسلم أو غيره ، وذلك مما ذكره ابن تيمية • قال : « فان الداعى تارة يقول بحق نبيك أو بحق فلان يقسم على الله بأحـد من مخلوقاته ، فهذا محذور من وجهين : أحدهما : أنه أقسم بغير الله ، والثانى : اعتقاده أن لأحد على الله حقا •

ولايجوز الحلف بغير الله ، وليس لأحد على الله حق الا ما أحقه على نفسه » والله أحق على نفسه أن لايعذب العباد اذا عبدوه ولم يشركوا به شيئا • جاء فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه ، وهو رديفة : « يامعاذ ، أتدرى ماحق الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدرى ماحق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقهم عليه أن لايعذبهم »(٢٣) قال ابن تيمية « وترك تعذيبهم معنى لايصلح أن يقسم به ، ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به »(٢٤) •

من الشفاعة المنفية أيضا ماذكرت آنفا فى تفسير الآية الكريمة وهى الشفاعة السيئة التى تتمثل فى شفاعة الناس بعضهم لبعض فى الشر أو الباطل ، أو فى القتال مع الكفار والمشركين ، وقـد بينتها مع الشفاعة المثبته لتكامل الآية فلا داعى للاعادة هنا •

---

(٢٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠١ .

(٢٤) المرجع السابق والصفحة .

المبحث الثانى

الشـفاعة فى الآخـرة

مبحث تمهيـدى :

قبل الحديث بالتفصيل عن الشفاعة فى الآخرة نريد أن نحقق نقطة أثارها أحد المفسرين رغبة فى اظهار الرأى الصائب والراجح عند معظم المفسرين وعلماء المسلمين وما عليه الجمهور ٠

لقد نفى الامام محمد عبده تصريح القرآن بالشفاعة فى الآخرة وأكد قوله هذا بنفى القرآن للشفاعة بآيات أخرى ، وذكر أن الشفاعة لاتثبت الا بالأحاديث المروية عن الرسول صلى الله علريه وسلم ، وتبع الامام فى قوله هذا السيد محمد رشيد رضا فقد قال فى قوله تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده) « أى من ذا الذى يجرؤ منهم أن يشفع فيحمله على ترك مقتضى مامضت به سنته وقضت به حكمته وأوعدت به شريعته من تعذيب من دس نفسه بالعقائد الباطلة ، ودنسها بالأخلاق السافلة ، وأفسد فى الأرض وأعرض عن السنة ، والغرض من ذا الذى يقدم على هذا من عبيده » ٠

وقال ليس معنى تقييد الشفاعة بالاذن أنها ستقع وانما هو كقوله تعـــالى : (يوم يأت لاتـــكلم نفس الا باذنه)[١] فهو تمثيل لانفراده بالسلطان والملك فى ذلك اليوم (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)[٢] فالأمر كله لله صورة وحقيقة »[٣] ٠

---

(١) سورة هود آية ١٠٥ ٠

(٢) سورة الانفطار آية ١٩ ٠

(٣) تفسير المنار ص ٢٦ ، ٢٧ جـ ٣ ٠

وبذلك قد وافق السيد محمد رشيد رضا الامام محمد عبده فى القول بأن القرآن ينفى الشفاعة ، فقد قال الامام محمد عبده : « ان القرآن يترقى فى نفى الشفاعة من دليل الى آخر » وأوعز ذلك الى « أذن الله » فالشفاعة فى القرآن الكريم تتوقف على الاذن من الله تعالى ، وأذنه كما قال الامام لا يعلم الا بوحى منه تعالى •

وقال محمد رشيد رضا « وواذنه تعالى مما استأثر بعلمه فلا يعلمه غيره الا اذا شاء أعلامه • • »[٤] •

وقد ذكر الامام محمد عبده رأيه فى نفى القرآن للشفاعة بتحديده للطريق الذى يعرف به اذن الله ، فاذن الله للشفيع ، كما قال الامام محمد ، انما يعرف بالأحكام التى حددها القرآن ، فالذى بين القرآن أنه يستحق العقاب فهو معاقب ، وفى هذه الحالة لايجرؤ أحد أن يدعو له النجاة من العقاب ، ومن أوضح الكتاب العزيز أنه مستحق لرضوانه تعالى رغم صدور الهفوات والصغائر منه التى لم تحوله عن وجه الله سبحانه الى الفساد الذى يطبع على الروح فتسترسل فى الخطايا فهذا مستحق ثواب الله ورضاه جزاءا وفاقا ، كما وعد الله تعالى فى كتابه العزيز ووفقا لعلمه الأزلى » •

وقال الامام محمد عبده ان مثل هذا الاستثناء بالاذن والمشيئة معهود فى أسلوب القرآن الكريم فى مقام النفى القطعى للاشعار بأن ذلك باذن ومشيئته عز وجل •

وذكر الامام قوله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله)[٥]

---

(٤) المصدر السابق والصفحة •

(٥) سورة الأعلى آية ٦، ٧ •

وقوله تعالى : (خالدين فيهـــا ما دامت السماوات والأرض آلا ما شاء ربك)[٦] ، دليلا على ماذهب اليه من نفى القرآن للشفاعة ٠

وقد استدل أيضا على أن القرآن ينفى الشفاعة بما جاء فى القرآن الكريم بنفى الشفاعة مطلقا مثل قوله تعالى : (لابيع فيه ولا خلة ولا شفاعة)[٧] فى وصف يوم القيامة ٠

ومثل قوله تعالى : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) فالآية كما يقول الامام ناطقة بنفى منفعة الشفاعة[٨] ٠

وعلى ذلك قد نفى الامام محمد عبده وتبعه السيد محمد رشيد رضا أن القرآن يثبت الشفاعة ، ولكن لايفهم من ذلك انهما نفيا الشفاعة مطلقا أو أنهما أنكرا الشفاعة ، فهما يقرران أن الأحاديث قد وردت باثباتها[٩] ٠ ولذلك نرى الامام محمد عبده بعد ذلك يقرر أن الاستثناء فى قوله (الا باذنه) واقع وقد أثبته للرسول بمقتضى الأحاديث النبوية الشريفة خاصة فى فصل القضاء ، ويقول الامام : « وبذلك يفتح باب الشفاعة فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالأنبياء الاصفياء »[١٠] ٠

واذا كانت الأحاديث قد وردت باثبات الشفاعة بما لا ينكر ذلك أحد ، والأحاديث النبوية الشريفة جاءت مفصلة لما أجمل فى القرآن ومبينه لما كان غامضا فيه بحيث لايمكن الفصل بينهما ، فهما معا المصـــدر الذى يستقى منه تعاليم الدين ٠ أخرج البيهقى فى البعث من طريق شيب ابن

---

(٦) هود آية ١٠٧ ٠

(٧) البقرة آية ٢٥٤ ٠

(٨) تفسير المنار ج ١ ص ٢٥٥ ٠

(٩) المرجع السابق والصفحة ٠

(١٠) تفسير المنار ج ٣ ص ٢٨ ٠

أبى فضالة ، ذكروا عنـــد عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل : « انكم لتحدثوا بأحاديث لا نجد لها فى القرآن أصلا ، فغضب وذكر له مامعناه أن الحديث تفسير القرآن »[١١] .

اذا كان كذلك فأقول ان قوله تعالى : « الا باذنه » لاتكون للنفى القطعى كما قال الامام وتبعه ووافقه محمد رشيد رضا وانما تكون شرطا للشفاعة ، حيث أن الحديث وضح أن الاذن يكون للرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الملائكة والأنبياء على الاختلاف بين الفرق فى أنواع الشفاعة .

ولا خلاف بين علماء المسلمين فى ثبوت أصل الشفاعة كما سأذكر فيما بعد من ذكر أحاديث الشفاعة كل فى موضعه .

وقـــد جاء فى صحيح البخارى بشرح العسقلانى قوله : « وجاءت الأحاديث فى اثبات الشفاعة المحمدية متواترة ودل عليها قوله تعالى : (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) ، والجمهور على أن المـــراد به الشفاعة[١٢] .

وقد ذكر أكثر المفسرين أن قولهتعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» أنها الشفاعة ، فقال النيسابورى فى تفسير هذه الآية : « فلعله حين بين أن الآخرة خير له عقبه ببيان تلك الخيرية وهى رتبة الشفاعة » وقال : « يروى عن على رضى الله عنه أنه قال : قال صلى الله عليه وسلم اذن لا أرضى وواحد من أمتى فى النار »[١٣] .

---

(١١) فتح البارى كتاب الرقاق ج ١١ ص ٤٢٦ .

(١٢) كتاب الرقاق ج ١١ ص ٤٢٦ .

(١٣) تفسير النيسابورى ص ١٠٩ بهامش تفسير الطبرى ص ١٢ .

وقد ذكر الغزالى أن الشـفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة بالقرآن الكريم لقولهتعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » قال الغزالى: « فالذى يعطيه الله للرسول الاذن بالشفاعة لأمته »(١٤) .

ويقول القرطبى فى قوله تعالى : « الا باذنه » أن هذه الآية « تقرر أن الله يأذن لمن يشـاء فى الشفاعة وهم الأنبياء والعلماء والمجاهدين والملائكة وغيرهم ممن أكرمهم الله وشرفهم الله »(١٥) .

وعلى هذا قال ابن تيميـة فى نفى القرآن للشفاعة أنها من ناحية أخرى تأكيد لوحدانية الله تعالى وأنه لا معبود سواه فهو وحده الذى يتوجه اليه بالعبادة والدعاء والسؤال والتوكل فلا يتوكل أحد الا عليه تعالى فى شفاعة وغيرها .

وعلى ذلك فمقصود القرآن بنفى الشفاعة كما يرى ابن تيمية هو نفى الشرك » . أى نفى الشرك مع الله فى الشفاعة .

فالشفاعة التى نفاها القـرآن مطلقا كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا ، ولهذا أثبت الشفاعة باذنه فى مواضع وتلك قد بين الرسول صلى اللهعليهوسلم أنها لاتكون الا لأهل التوحيد والاخلاص فهى من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد »(١٦) .

فى الحقيقة فان فى قوله تعالى : « لله الشفاعة جميعا » دليل على اثبات القرآن للشفاعة ، وأنها لله تعالى دون غيره مما يمنع اشراك غيره

---

(١٤) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٥١٠ .

(١٥) تفسير الطبرى جـ ٢ ص ١٨١ ، وانظر ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٣٠٩ .

(١٦) كتاب الايمان ص ٦٩ .

معه وشروطها الاذن من الله تعالى دون غيره ، ولمن ارتضى الله تعالى من عباده •

اذن الشـــفاعة ثابتة بالقرآن الكريم موضحة ومفسرة بالحـــديث الشريف والشفاعة فى الآخرة مثبتة ومنفية ، أو غير شرعية •

١ ـ الشفاعة المنفيــة أو الغير شرعية

الوضع الطبعى أن يكون الحديث عن الشفاعة الحقة الثابتة أولا ، ثم يلى ذلك الحديث عن الشفاعة المنفية الا أننى آثرت تأخير الحديث عنها لكثرة الكلام فيها والأدلة ولأن الشفاعة المنفية هى فى نفس الوقت شروط للشفاعة المثبتة •

والشفاعة المنفية هى :

١ ــ الشفاعة التى تكون بغير اذن الله شفاعة منفية وكونها منفية أى أن الله لا يستجيب لداعيها ، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أخبر فى القــرآن الكريم أن من شروط الشفاعة عنـــد الله ألا تكون الا باذنه سبحانه • قال تعالى : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) فاذا كانت بغير اذنه تعالى كانت منافية لشرط من شروط الشفاعة التى لا تصح الشـــفاعة الا به ، ولأن اذن الله تعالى يعنى علمه بحال المشـــفوع له وأحقيته للشفاعة •

٢ ــ الشفاعة لغير ماارتضاه الله تعالى ، لقولهتعالى : (لايشفعون الا لمن ارتضى)[١٧] ، والذى لا يرضى عنه الله تعالى هو الكافر والمشرك لقوله تعالى : (لا يملك الذين يدعون من دونه الشـــفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون)[١٨] جاء فى تفســـير الجلالين عن هذه الآية أى

---

(١٧) الأنبياء ٢٨ •

(١٨) الزخرف ٦٨ •

لا يملك الذين يعبدون ، وهم الكفار (من دون الله) الشفاعة لأحد الا من شهد بالحق وقال لا اله الا الله[١٩] .

قال تعالى : (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)[٢٠] .

قال الطبرى فى تفسيره : « وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط الله بهم وورودهم أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حل بنا من سوء فعالنا فى الدنيا ، أو نرد الى الدنيا مرة أخرى فنمل فيها بما يرضيه ويعنيه من أنفسنا » .

يقول الطبرى : « يذكروا ذلك فى وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة »[٢١] .

وقال تعالى على لسان الكفرة : « وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ·· » قال النيسابورى ان القول « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » فيه نفى الشفعاء والصديق رأسا أو نفى للذين كانوا عدوهم شفعاء وأصدقاء من الأصنام والرؤساء أو نفى للانتفاع بهم ، قصدوا بها بنفيهم نفى ما يتعلق بهم من الفائدة

---

(١٩) تفسير الجلالين لسورة الزخرف .

(٢٠) الأعراف ٥٣ .

(٢١) تفسير الطبرى مجلد ٥ جـ ٨ ص ١٤٦ .

فكل عديم النفع حكمه حكم المعدوم »[٢٢] •

فالشـــفاعة لأهل الشرك والكفار منفيـــة ، ولذلك نهى الله تعالى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاستغفار للمشركين •

فقد جاء فى الحـــديث أن الرســـول صلى الله عليه وسلم قال لعمه أبى طالب انه يستغفر له الله ما لم يمنعه الله من ذلك •

ولفظ الحديث الذى رواه سعيد بن المسيب عن أبيه : (لما حضرت الوفاة أبا طالب جاء رســـول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنـــده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يا عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عنـــد الله سبحانه وتعالى ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه ويعاودانه بتلك المقالة حتى كان آخر ما كلمهم به أبو طالب قوله أنا على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لأستغفرن لك ما لم أنه منك) • فأنزل الله عز وجل قوله تعالى : (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى)[٢٣] •

وبذلك كان الأمر من الله تعالى ألا يستغفر الرسول صلى الله عليه وسلم للمشركين مهما كان من صلة قربى لهم وكذلك المؤمنون •

وكذلك الحال مع نوح عليه السلام عندما توسل الى الله لينقذ ابنه من الغرق • قال تعالى : (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى

---

(٢٢) تفســـير النيسابورى بهامش تفســـير الطبرى المجلد ٩ ج ١٩ ص ٦٦ •

(٢٣) سورة هود ٤٥ — ٤٦ •

وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين • قال يا نوح انه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى أعظك أن تكون من الجاهلين)[٢٤] •

وكان سبب عدم نجاته وسماع توسل نوح أنه كان كافرا ولا نجاة للكافرين ، ولذلك طلب نوح من الله المغفرة على شفاعته لابنه • قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : (•• والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين)[٢٥] •

وأما استغفار ابراهيم عليه السلام لأبيه ما كان الا عن موعده وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، ومن ذلك قوله تعالى : (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون)[٢٦] •

اذن فالنهى عن الاستغفار للمشركين أمر من الله تعالى وهو حق ، فمن استغفر للمشرك فكأنه هان عليه ما كان منه وكان فى صف عدو من أعداء الله تعالى ، وقد أمر الله تعالى بعدم موالاة المشركين • قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ••)[٢٧] •

---

(٢٤) سورة هود آية ٤٥ •

(٢٥) سورة هود آية ٤٧ •

(٢٦) البقرة ١٦١ — ١٦٢ •

(٢٧) سورة الممتحنة آية ١ •

ومن استغفر للمشرك والكافر يكون كمن رق قلبه لمن لا يستحق الرحمة لأنه لو كان يستحقها لرحمة الله تعالى فهو أرحم الراحمين ولأن الله سبحانه قدر أزلا ألا يغفر للمشركين ولا تغير لقدر الله تعالى وقد أخبر الله الرسول بذلك والمؤمنين بقوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)(٢٨) .

٣ ـ ومن الشفاعة المنفية أيضا فى الآخرة الشفاعة لاسقاط حق المظلوم من الظالم فلا تقبل شفاعة الشافعين للظالم فى اسقاط ظلمه لغيره ولكن يعطى المظلوم من الظالم . قال صلى الله عليه وسلم : « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقضى لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فو آلذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة من منزله كان فى الدنيا »(٢٩) .

ومن حديث ابن مسعود عن الرسول صلىاللهعليهوسلم : « يؤخذ بيد العبد فينصب على رءوس الناس وينادى مناد : هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت فيأتون فيقول الرب : آت هؤلاء حقوقهم ، فيقول يا رب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم فيقول الملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل انسان بقدر طلبته ، فان كان ناجيا وفضل من

---

(٢٨) سورة النساء آية ٤٨ .

(٢٩) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب القصاص يوم القيامة رقم ٦٥٣٥ فتح البارى .

حسناته مثقال حبة من خردل ضاعفها الله حتى يدخله بها الجنة »[٣٠] .

ولذلك كانت نصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم للناس أن يتحللوا من مظالمهم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ومن كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحله منهـا فانه ليس ثمة دينار ولا درهم من قبـل أن يؤخذ لأخيه من حسـناته ، فان لم يكن له حسـنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه »[٣١] .

مما سبق يتضح أنه لا شفاعة بدون اذنه تعالى ولا شفاعة الا لمن إرتضاه الله من عباده وعلى ذلك فلا شفاعة للمشرك والكافر ، ولاشفاعة أيضا لاسقاط حق المظلوم من الظالم .

٢ ـ الشفاعة المثبتـة في الآخرة

الشفاعة المثبتـة في الآخرة هي الشفاعة التي أشار اليها القرآن الكريم وفصـلها الحديث الشريف بقوله صلى الله عليه وسلم أن أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله . عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسـألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لمـا رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه »[٣٢] .

وعلى ذلك فالشفاعة المثبتـة في الآخرة لا تكون الا لأهل التوحيد الموحدين بالله تعالى القائلين لا اله الا الله خالصة من قلوبهم .

(٣٠) نفس المرجع جـ ١١ ص ٣٩٧ .

(٣١) فتح الباري باب القصاص يوم القيامة كتاب الرقاق رقم ٦٥٣٤ .

(٣٢) فتح البـاري كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٧٠ جـ ١١ ص ٤١٨ البخاري .

والشفاعة المثبتة أنواع تختلف باختلاف المذاهب فيمن تكون له الشفاعة من المؤمنين ، وسوف أذكر هذه الأنواع بحول الله تعالى فى الفصل القادم .

وللشفاعة المثبتة شروط لا تتم الشفاعة الا بها فهى لا تكون الا لمن ارتضاه الله تعالى لقوله سبحانه « ولايشفعون الا لمن ارتضى » ولاتكون الا باذن من الله تعالى لقوله تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه » .

الفصل الثانى
أنواع الشفاعة المثبتة فى الآخرة

المبحث الأول
الشــفاعة العظمى

الشفاعة العظمى والشفاعة العامة هى شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف حتى يقضى الله تعالى بينهم بعد أن يعتذر الرسل أصحاب الشرائع من آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام أجمعين ، فقد ورد فى الصحاح أنه حين يشــتد الهول على النـــاس فى الموقف يتوافدون على الأنبياء ويلتمسون شفاعتهم فى تخليصهم من هول الموقف وأن الأنبيـــاء يتراجعون حتى يأتى الناس محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم باذن الله تعالى ٠

جاء فى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم « يجمع الله الناس يوم القيـــامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت الذى خلقك الله بيــده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا ، فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته ، ويقول ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله ، فيأتون فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا ابراهيم الذى اتخذه الله خليــلا ، فيأتون فيقول : لست هناكم فيذكر خطيئته ، ائتوا عيسى فيأتونه فيقول : لست هناكم ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتونى فأستأذن على ربى ، فاذا رأيته وقعت له ساجدا فيدعنى ما شاء الله

ثم يقول لى ارفع رأسك وسل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى ، ثم أشفع فيحد لى حدا .. »[1] .

وهذه الشفاعة التى لأهل الموقف خاصة بالرسول صلى الله عليه وسلم بمقتضى هذا الحديث فلا يشاركه فيها أحد غيره من الأنبياء أو الملائكة ، الا أن البعض قال ان هـذا الحديث يدل على شفاعة جميـع الأنبياء لأممهم ولكن بعد أن بدأ عليه الصلاة والسلام بالشفاعة وقالوا فى ذلك ، حيث أنه لا يجوز أن يتقاعد الأنبياء عن الشفاعة لأتباعهم ، وأن موقفهم هـذا يرجع الى عدم تجاسرهم الى الاستئـذان من الله بالشفاعة لأن الشـفاعة تحتاج اذن ، فعلى سبيل المثال قال الكلينوى « فلعل النبى عليه السلام استأذن بشفاعته لأمته وشفاعتهم لأمتهم ، وحينما أذن لهم فى شفاعتهم لأمتهم برجاء النبى عليه الصـلاة والسلام فقد كان عليه السلام سببا لدخول الكل فى الجنة ، ولذا أسند الاخراج والادخال الى نفسه بطريق الاسناد »[2] .

وقد أشار الخلخالى الى ذلك فقال لذلك صح القول : « بان الانبياء عليهم السلام لم يتقاعدوا عن نفس الشفاعة انما يتقاعدون من البداية بها فرسولنا عليه السلام بدأ بها » وقال : « وهذه هى السيادة المذكورة فى حديث أبى هريرة حيث قال عليه السلام : أنا سيد الناس يوم القيامة، فان الأنبياء عليهم السلام لما رجعوا فى البداية تقاعدوا الى أن يشفع هو عليه السلام لأمته ثم يشفع سائر الأنبياء عليهم السلام لأممهم

---

(١) كتاب الرقاق رقم ٦٥٦٥ فتح البارى جـ ١١ ص ٤١٨ .

(٢) حاشية الكلينوى على شرح جلال الدين الديوانى للعقائد العضدية للايجى جـ ٢ ص ٢٧٢ .

ففتح باب الشفاعة للأنبياء بشفاعته عليه السلام »[٣] .

والشفاعة العظمى عامة للأمم كلها كافرها ومؤمنها فالرسول صلى الله عليه وسلم شمل بشفاعتـه الكفار لتعجيل فصل القضاء فيخفف عنهم أهوال يوم القيامة ، وذلك لأن طول الانتظار عذاب فى حد ذاته . وبذلك يتحقق قوله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

فقد تحقق قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فى الدنيا والآخرة فالرسول صلى الله عليه وسلم رحمة فى الدنيا لكونه سببا فى اخراج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الكفر الى الايمان ، ومن أسـباب دخول النار الى الجنة بدعوتهم للايمان بالله تعـالى والعمل بأوامره والانتهاء عما نهى عنه ، كما هو رحمة للعالمين فى الآخرة مؤمنهم وكافرهم بشـفاعة صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف جميعا لتعـجيل القضاء .

وهـذه الشفاعة التى لأهل الموقف أجمع عليها المسلمون بمختلف فرقهم فلم يجادل فيها المعتزلة أو غيرهم كغيرها من أنواع الشفاعة كما سأبين فيما بعد ان شاء الله تعالى ، وان كانت ثابته بحديث آحاد فى اللفظ لكن وروده من أكثر من طريق يصل به الى حد التواتر المعنوى .

قال ابن حزم « ان اللشفاعة لأهل الموقف حق وذلك لأن الخلق فى كونهم فى الموقف هم أيضـا فى مقام شفيع فهم أيضـا يحتاجون الى الشفاعة »[٤] وقال القاضى عياض : « اثبتت المعتزلة الشفاعة العامة فى

---

(٣) حاشية الخلخالى على العقائد العضدية ص ٢٧٢ جـ ٢ .

(٤) الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ ص ٦٥ .

الاراحة من كرب الموقف وهى الخاصة بنبينا والشفاعة فى رفع الدرجات وأنكرت ماعداها »[٥] .

فهـذه الشفاعة لم ينكرها أحـد وذلك لأن الفصل بين الناس هو الغرض الأساسى يوم القيامة ، وهذا يتفق مع اتصاف الله تعالى بالعدل كما يراه المعتزلة وهو أن الله أعطى العبد القدرة على الفعل وعلى عدم الفعل ، وذلك لينال جزاءه على عمله يوم القيامة ، وكذلك يتفق مع الوعد والوعيـد الذى بمقتضاه عنـد المعتزلة يدخل الله العاصى النار ويدخل الطائع الجنة ولابد أن يتحقق ذلك يوم القيامة .

* * *

وقد اختلف علماء المسلمين فى الشفاعة العظمى أو العامة هل هى المقام المحمود أم غيرها من الشفاعات فذكر ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى قولين فى المقام المحمود .

أولهما : هو الشفاعة العامة فى فصل القضاء ، ثانيهما الشفاعة فى اخراج المـذنبين من النار ، وذكر قولا ثالثا ونسبه الى الماوردى فى تفسيره وهو اجلاسه صلى الله عليه وسلم مع الله على عرشه وقد قال به مجاهد ، وجاء من حـديث أبى سعود قوله صلى الله عليه وسلم : « ثم يكسونى ربى حلة فألبسها فأقوم عن يمين العرش مقاما لا يقوم أحد يغبطنى عليه الأولون والآخرون »[٦] .

وقـد ذكر جلال الدين الديوانى قولا رابعا فى المقام المحمود حيث جعله خروج أمته من النار وعدم تخليدهم فيها ولو كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان . قال : « روى فى الحديث أن الله تعالى يقول له اشفع

(٥) فتح البارى ج ١١ ص ٤٢٨ .

(٦) فتح البارى ج ١١ ص ٤٢٦ — ٤٢٧ كتاب الرقاق رقم ٦٥٦٥ .

تشفع وسل تعط وهو صلى الله عليه وسلم لايرضى الا باخراج من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان من النار » ثم قال : « هذه هى الشفاعة الكبرى التى خص بعض العلماء المقام المحمود به »(٧) ٠

وقد قال البعض أن الشفاعة بأنواعها المختلفة وعلى اطلاقها هى المقام المحمود ولم يقصر المقام المحمود على واحدة بعينها دون الأخريات ٠

ومن ذلك ما قاله الشيخ عبد السلام المالكى فى اتحاف المريد عن الشفاعة لأهل الموقف قال : « ٠٠ فيتعين اعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم وان كان له شفاعات الا أن أعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم المختصه به للاراحة من طول الموقف وهى أول المقام المحمود »(٨) أى أن الشفاعة العظمى لأهل الموقف هى أول المقام المحمود ، وتمامه بحصول جميع أنواع الشفاعة ومنها تلكم الشفاعات التى قصر بعض العلماء المقام المحمود عليها ٠

فى الحقيقة أن القول بأن المقام المحمود هو مطلق الشفاعة وأن الشفاعة العظمى هى أول المقام المحمود وآخرها اخراج كل من قال لا اله الا الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أولى بالقبول ، ويؤيد ذلك ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن المقام المحمود قال هو الشفاعة دون تحديد أى أنواع الشفاعة هى المقام المحمود ٠ جاء فى صحيح البخارى من حديث سعد بن أبى وقاص «سئل النبى صلى الله عليه وسلم على المقام المحمود فقال هو الشفاعة »(٩) ٠

(٧) حاشية الكلينوى على شرح العقائد العضدية للايجى ج ٢، ص ٢٧١ ٠

(٨) اتحاف المريد ص ١٥٣ ٠

(٩) فتح البارى ج ١١ ص ٤٢٧ كتاب الرقاق ٠

وأخيرا فأى مقام محمود يكون أعلى من أن يخرج الله تعالى أمته صلى الله عليه وسلم من النـــار لقولهم « لا اله الا الله » ولايمانهم بالله الواحد ، ولا يخلد منهم أحد تكريما للرسول صلى الله عليه وسلم •
جاء فى صحيح مسلم من حديث الشفاعة الطويل استئذان الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخراج من قال لا اله الا الله ، فأسند الله ذلك لنفسه•
قال الرسول صلى الله عليه وسلم « •• ثم ارجع الى ربى فى الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لى يامحمد أرفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله ، قال : « ليس ذاك لك » ، أو قال : « ليس ذاك اليـــك ، ولـــكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لأخـــرجن من قال لا اله الا الله »[١٠] •

(١٠) باب الشفاعة ٢٩٨ جـ ١ صحيح مسلم بشرح النووى •

المبحث الثانى
الشــفاعة للمؤمنين خاصــة

الشفاعة للمخلصــين لدخول الجنة :
والشــفاعة لادخال قوم الجنة بغير حساب :

١ ــ من أنواع الشفاعة التى ذكرت شفاعته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين المخلصين لدخول الجنة • جاء فى الابانة : وهم قد استحقوها على الله واستوجبوها عليه ، واذا كان الله عز وجل لايظلم مثقال ذرة كان تأخيرهم عن الجنة ظلم وانما يشفع الشفعاء الى الله عز وجل فى أن لا يظلم »[1] •

ان القول بأن الشفاعة لرد ظلم الله لايجوز ، حيث أن الله تعالى قال : « وما ربك بظلام للعبيد » •

٢ ــ ومن أنواع الشفاعات التى ذكرها علماء المســلمين شفاعته صلى الله عليه وسلم لادخال قوم الجنة بغير حساب ، ودليله كما قال القاضى عياض وما جاء فى شرح العقيدة الطحاوية حديث عكاشــه بن محصن حــين دعا له صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب[2] •

وتمام الحديث المستدل به هو عن ابن عباس عن الرسول صلى الله عليه وسلم « عرضت على الأمم فأخذ النبى يمر معه الأمة والنبى يمر معه النفر والنبى يمر معه العشرة والنبى يمر معه الخمسة ، والنبى يمر

---

(١) الابانة فى اصول الديانة ص ٧٤ •

(٢) تهذيب شرح العقيــدة الطحاوية ص ٢٢٢ للامام ابن أبى العــز الحنفى •

وحده فنظرت فاذا سواد كثير ، قلت يا جبريل : هؤلاء أمتى ؟ قال : لا ، ولكن انظر الى الأفق ، فنظرت فاذا سواد كثير ، قال أهؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لاحساب عليهم ولا عذاب ، قلت : لم ؟ قال كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام اليه عكاشه بن محصن ، فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم • قال اللهم اجعله منهم ، ثم قام اليه رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم قال : سبقك بها عكاشه »(٣) •

قد ذكر ابن حجر العسقلانى أن ابن تيمية أنكر هذه الرواية لأنها تنكر الرقى وتطلب تركه والراقى يحسن الى الذى يرقيه وأن الرسول رقى أصحابه • هذا القول من ابن تيمية يكون صحيحا اذا حمل الحديث على مطلق الرقى ، ولكن اذا حمل الحديث على الرقى الممنوعة وهى ما كان شركا أو إحتمله كان الحديث صحيحا •

فالرقى منها ماهو شرك ومنها ماهو غير ذلك ، والرقى الموصوفة بأنه شرك هى التى يستعان فيها بغير الله والتى يستعملها من يدعى تسخير الجن له ، فيأتى بأمور مشتبهه مركبه من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى وأسمائه مايشوبه من ذكر الشياطين والاستعانه بهم •

ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بنى آدم ، فاذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها ، وكذا اللديغ اذا رقى بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الانسان • وهذه خرافة لا وجه لها من الصحة ، فالذى يعرف من القرآن عداوة الشيطان لبنى آدم وليس عداوة الثعبان الحيوان الأعجم الذى لا تفكير له ولا تدبير ، ولا يتصرف الا بغريزته ، وأما القول بعداوة

---

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص ٤٤٣ •

الثعبان للانسان فهو قول اسرائيلى لأن الثعبان أو الحية فى التوراة حل محل الشيطان فى قصة آدم وذلك كان بينهما العداوة وهذا غير صحيح .

وكانوا يعتقدون أن الرقى بهذه الطريقة تمنع العين وتشفى المرض ، ولما جاء الاسلام نهى عن الرقى بهذه الطريقة ، وقد نبه الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك وبينه فى أكثر من حديث بطرق مختلفة فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الرقى والتمائم والقولة شرك »(٤) .

ومن ناحية أخرى قد أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم الرقى مالم تكن شركا ، جاء فى صحيح مسلم عن عوف بن مالك أنه قال : « كنا نرقى فى الجاهلية ، فقلنا يارسول الله كيف ترى فى ذلك ؟ » فقال : « اعرضوا على رقاكم لابأس بالرقى مالم تكن شركا »(٥) .

والرقى الجائزة هى مالم يذكر فيها الا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كان الرسول صلى الله وسلم يقول فى الرقية : « اذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما »(٦) .

وعلى ذلك فالحديث محمول على الرقى التى بها شرك فاعتراض الشيخ ابن تيميه على هذا الحديث ليس فى محله .

وقد اختلف فى من هم السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب على أقوال منها : هم الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه

---

(٤) ابن ماجه ١ / ١١٦٧ كتاب الطب — باب تعليق التمائم .

(٥) مسلم : السلام باب ٢٢ حديث ٦٤ .

(٥) رواه الجماعة .

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١١ ص ٤٢٣ .

وسلم ، وقيل لعلهم الذين ولدوا فى الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا ، وقيل أنهم الشهداء ، وقيل هم المراد بقوله تعالى:(والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم » ، وقيل أن السبعين ألفا ممن يحشر من مقبرة البقيع بالمدينة ، وذلك لحديث أم قيس بنت محصن ، أنها خرجت مع النبى فقال : « يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب كأن وجوههم القمر ليلة البدر »[٦] .

فى الحقيقة ان الحديث لم يشر الى أن هؤلاء السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب يدخلونها بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك واضح من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل فى ليلة الاسراء . وهى الليلة التى رأى فيها الرسول السبعين ألفا الذين يدخون الجنة بغير حساب — عن سبب دخولهم الجنة وكان ذلك اخبارا من جبريل للرسول لما سيقع يوم القيامة فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم وأخبـــر به أصحابه ، حتى أنه لم يحدد من هم ، واختلفت الآراء والأقوال فى ذلك ، ولم يقل له صلى الله عليه وسلم جبريل أنهم يدخلون بشفاعتك لهم .

ولعل الشفاعة هنا مستنبطة من دعوة الرســـول صلى الله عليه وسلم الزيادةعلى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فأجيب . وقد قال بذلك ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى[٧] . الا أن هـــذا مردود بدعوة الرسول للبعض دون البعض الآخر كما هو واضـــح من الحديث ، والذى دعا له الرسول ، دعا له لعلمه أنه منهم ، فقد قال النووى «أن النبى صلى الله عليه وسلم علم بالوحى أنه يجاب فى عكاشه

---

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١١ ص ٤٢٣ .

(٧) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١١ ص ٤٢٨ .

ولم يقع فى حق الآخر » • وقال السهيلى : « الذى عندى فى هذا أنها كانت ساعة اجابة علمها الرسول واتفق أن الرجل قال بعد ما انقضت »[٨] •

كذلك دعوة الرسول هذه كانت فى الدنيا والشفاعة لاتكون الا فى الآخرة وهى غير الشفاعة فى الدنيا قال الرسول صلى الله عليه وسلم « ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »[٨] •

من هنا قد أنكر البعض هذه الشفاعة فعلى سبيل المثال لم يذكرها ابن حزم فالشفاعة عنده شفاعتان فقط هما الشفاعة العامة والشفاعة فى اخراج المذنبين من النار • قال ابن حزم : « هما شفاعتان احداهما الموقف بسعة الحال وهو المقام المحمود الذى جاء النص فى القرآن به فى قوله تعالى : « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » وهكذا جاء الخبر الثابت نصا • والشفاعة الثانية فى اخراج أهل الكبائر من النار[٩] طبقة طبقة على ماصح فى ذلك الخبر »[١٠] يشير ابن حزم بقوله طبقة طبقة الى حديث الشفاعة الطويل الذى يعاود الرسول الاستئذان بالشفاعة حتى يخرج كل من قال لا اله الا الله •

ولم يذكر ابن عطية هذه الشفاعة فى تفسيره[١١] •

---

(٨) فتح البارى ج ١١ ص ٤١٣ كتاب الرقاق •
(٩) كما سأبين فيما بعد انظر ص ٥٣ •
(١٠) الفصل فى الملل والنحل ج ٤ ص ٦٤ •
(١١) فتح البارى ج ١١ ص ٤٢٣ •

الشـفاعة لزيادة الـدرجات

٣ ــ شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة لزيادة درجاتهم ، وقد قال بهذه الشفاعة المعتزلة • قال الدوانى : « هى عند المعتزلة لرفع الدرجات للمؤمنين »(١) ، وقال بها الدوانى حيث قال : « ان الشفاعة لدفع العذاب ورفع الدرجات وعلى ذلك تكون لأهل الكبائر والمؤمنين الذين دخلوا الجنة لرفع درجاتهم »(٢) •

قد أنكر الشفاعة لزيادة الدرجات بعض الأشاعرة ، فهى عند البعض لا تكون الا لاسقاط المضار فقط • قال التفتازانى : « لو تم ما ذكره بعض أصحابنا من أن الشفاعة لايجوز أن تكون حقيقة لزيادة المنافع تكون لاسقاط المضار فقط »(٣) •

كما أنكر أهل السنة هذه الشفاعة ، فقد نقل البيهقى عن عبد الله ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرت بين أن يدخل شـــطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنهـــا أعم وأكفى أترونها للمؤمنين المتقين ، لا ، ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين »(٤) •

وجاء فى لمع الأدلة « •• والشفاعة للمذنبين كل ذلك حق »(٥) •

---

(١) العقائد العضدية بشرح الدوانى جـ ٢ ص ٢٧٠ •

(٢) المرجع السابق ص ٢٧١ •

(٣) شرح المقاصد للتفتازانى ص ١٥٨ •

(٤) الاعتقاد على مذهب السلف ص ١١٣ •

(٥) ص ١١٣ •

وقال الرازى : « لأنه على رأى أهل السنة أنه لا شفاعة لزيادة المنافع »[٦] .

وأنكر الأشعرى كون الشفاعة للمبشرين بالجنة الموعودين بها « لأنها حينئذ لا يكون لها معنى فلا معنى للشفاعة لقوم لا يجوز أن لايدخلهم الله الجنة » وان كان قال بها « للمؤمنين المخلصين والمذنبين المرتكبين الكبائر » ، وقال الأشعرى : « وانما الشفاعة المعقوله فيمن استحق عقابا أن يوضع عنه عقابه أو فيمن لم يعده شيئا أن يتفضل به عليه ، فأما اذا كان الوعد بالتفضيل سابقا فلا وجه لهذا »[٧] .

وقد اعترض التفتازانى على كون الشفاعة لزيادة الدرجات « بأنها لو كانت كذلك لكنا شافعين فى حق النبى صلى الله عليه وسلم حين نسأل الله تعالى زيادة كرامته واللازم باطل وفاقا »[٨] .

وقد استدلت المعتزلة على مذهبها بأن الشفاعة تكون لزيادة درجات أهل الجنة بوجوه منها :

١ — الآيات الدالة على نفى الشفاعة بالكلية فيخص النفى المطيع والتائب فتبقى حجة فيما وراء ذلك ، مثل قوله تعالى : « واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا »[٩] « لايقبل منها شفاعة »[٩] « ولا تنفعها شفاعة »[١٠] « من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلة

---

(٦) معالم اصول الدين ص ١٢٠ .

(٧) الابانة فى اصول الديانة الأشعرى .

(٨) شرح المقاصد ص ١٥٩ وانظر الشفاعة العظمى ص ٤٩ الرازى .

(٩) البقرة آية ٤٨ .

(١٠) البقرة آية ١٢٨ .

ولا شفاعة »[11] « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » [12] .

أقول ان قول المعتزلة أو استدلالهم بالآيات الداله على نفى الشفاعة مطلقا على تخصيص الشفاعة لزيادة الدرجات قول يناقض نفسه اذ كيف تكون الشفاعة منفية بوجه عام دون استثناء ويكون ذلك دليلا على اثباتها فى وجه خاص وهو زيادة الدرجات لأهل الجنة ، وخاصة إنه لم يذكر فى هذه الآيات استثناء حتى يحمل على زيادة الدرجات ، وفى الحقيقة هذه الآيات تحمل على الكافرين الذين لا ينفع لهم شفاعة ولا يسمع لمن يشفع لهم ولا يطاع .

٢ — الآيات التى تنفى الشفاعة لصاحب الكبيره منطوقا كقوله تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى »[13] وقالوا فى ذلك ان صاحب الكبيرة ليس بمرتضى عند الله تعالى ، وعلى ذلك فالمعتزلة هنا يثبتون الشفاعة للمؤمنين لزيادة الدرجات حيث أنها منفية على غيرهم .

أو الآيات التى تنفى الشفاعة لصاحب الكبيرة مفهوما ، كقوله تعالى حكاية عن حملة العرش « ويستغفرون للذين آمنوا »[14] «فاغفر للذين تابوا وأتبعوا سبيلك »[15] وقالوا لا فرق بين شفاعة الملائكة والأنبياء » .

٣ — الآيات المشعرة بخلود الفساق ، فلو كانت هناك شفاعة لهم لما كان خلودا فى النار .

---

(١١) البقرة آية ٢٥٤ .

(١٢) غافر آية ١٨ .

(١٣) الأنبياء آية ٢٨ .

(١٤) غافر آية ٧ .

(١٥) غافر آية ٧ .

٤ — الاجماع على الدعاء بقولنا : اللهم اجعلنا من أهل شفاعة محمد ولو كانت الشفاعة لأهل الكبائر ، لكان ذلك دعاء بجعله منهم»[١٦] .

وقــد استدلت المعتزلة بما سبق من آيات لاثبات نفى الشفاعة لصاحب الكبيرة التى قال بها الأشاعرة وأهل السنة ولذلك نرجىء موقف الأشاعرة وأهل السنة من هذه الأدلة عند الحديث عن الشفاعة لأهل الــكبائر .

فى الحقيقة انه ليس فى الأحاديث المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم مايؤيد القول بالشفاعة لزيادة الدرجات وجلها تدل على أنها لأهل الكبائر والمذنبين الموحدين الذين دخلوا النار — كما سأبين فيما بعد ان شاء الله — ومن قال بهذه الشفاعة لم يأت بما يدل صراحة على هذا القول بحديث من أحاديث الشفاعة .

وان جاء فى القرآن الكريم أن المحسنين لهم الحسنى وزيادة ولكن هذه الزيادة نسبت الى الله تعالى ولم تتوقف على شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم . من هذه الآيات قوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »[١٧] « لهم مايشاءون فيها ولدنيا مزيد »[١٨] .

وقــد فسرت الزيادة والمزيد بأنهــا رؤية الله تعــالى للمؤمنــين دون حجاب . قد روى مسلم فى صحيحه عن صهيب قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « للذين أحســنوا الحسنى وزيادة » قال : « اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ناد مناد : يا أهل الجنة ، ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فيقولون ما هو ؟ ألم يثقل

---

(١٦) شرح المقاصد التفتازانى ص ١٥٩ .

(١٧) سورة يونس آية ٢٦ .

(١٨) سورة ق آية ٣٥ .

موازيننا ، ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنـــة ويجرنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فينظرون اليه ، فما أعطاهم شيئا أحب اليهم من النظر اليه ، وهى الزيادة »[١٩] .

كذلك القول فى قوله تعالى « ٠٠ ولدينا مزيد » حمل على أنه النظر الى وجـــه الله سبحانه وتعـــالى ، كما قال بذلك على بن أبى طالب وغـــيره »[٢٠] .

(١٩) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٠ .

(٢٠) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٠ .

الشفاعة للذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم

٤ — من أنواع الشفاعة ماذكره ابن تيمية وهى شفاعته صلى الله عليه وسلم فيمن تساوت حسناته وسيئاته أن يدخلوا الجنة ، قال ابن تيمية « .. شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة »[1] .

المقصود هنا بمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم هم أصحاب الأعراف جاء فى تفسير الطبرى قول حذيفة أن « أصحاب الأعراف هم قوم تكافأت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيأتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم ، فلما قضى بين العباد أذن لهم فى طلب الشفاعة فأتوا آدم .. » وذكر حذيفة حديث الشفاعة الطويل بمعناه الا أنه قصره على أصحاب الأعراف فقال : « فلما قضى بين العباد أذن لهم فى طلب الشفاعة فأتوا آدم عليه السلام فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أحد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت رحمة الله اليه غضبه وسجدت له الملائكة غيرى فيقولون لا قال فيقول ماعلمت كنه ما استطيع أن أشفع لكم ، ولكن ائتوا ابنى ابراهيم قال فيأتون ابراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه فيقول هل تعلمون من أحد أتخذه الله خليلا هل تعلمون أحدا أحرقه قومه فى النار فى الله غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه

الله تكليما وقربه نجيا غيرى فيقولون لا ، فيقول ما علمت كنه ماأستطيع أن أشفع لـكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه فيقولون أشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحد خلقه الله من غير أب غيرى فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرىء الأكمة والأبرص ويحيى الموتى باذن الله غيرى قال فيقولون لا فيقول أنا حجيج نفسى ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لهـا ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش ، فأثنى على ربى فيفتح لى من الثناء مالم يسمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لى يا محمد أرفع رأسك سل تعطه وأشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول رب أمتى فيقـال هم لك فلا يبقى نبى مرسـل ولا ملك مقرب الا غبطنى يومئذ بذلك المقام وهو المقـام المحمود ، قال فأتى بهم باب الجـنة فأستفتح فيفتح لى ولهم فيذهب بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب من ذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود اليهم ألوان أهل الجنة وريحهم . . . »[1]

ان ذكر الحديث هنا بهذا اللفظ لم نجده فى البخارى أو مسلم وان كان معناه موجود الا أن الصحيحين على أن الحديث ورد لأهل الموقف ولم يخصا به أصحاب الأعراف ، كما أن أهل الأعراف دخلوا الجنة بعد دخول أهلهـا سـواء كانوا من الأوسـاط أو من الأشراف كما قال النيسـابورى[2] فان كانوا الأشراف « فيكون الله تعالى أخر ادخالهم

---

(١) تفسير الطبرى المجلد الخامس جـ ٨ ص ١٤٢ — ١٤٣ .

(٢) غرائب القرآن النيسابورى المجلد ٥ ص ٨ ص ١٠١ بهامش تفسير الطبرى .

الجنة ليطلعوا على أحوال أهل الجنة والنار ثم أنه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلا فى الجنة » • وان كانوا من الأوساط وهم الذين تساوت حســناتهم وسيئاتهم •• تؤل عاقبة أمرهم الى الجنة برحمة من الله وفضـــل » •

فلم يذكر النيسابورى هنا شــفاعة الرســول لهم رغم أن القول بدخولهم الجنة برحمة من الله وفضله نقله النيسابورى عن حذيفة وهو يعارض حديث الشفاعة السالف الذكر عن حذيفة •

المبحث الثالث

الشــفاعة لأهل الــكبائر

شفاعته صلى الله عليه وسلم فى قوم استحقوا دخول النار أن لا يدخلوها

قال النووى عن القاضى عياض « شفاعته صلى الله عليه وسلم فى قوم استوجبوا النار فيشــفع فيهم نبينا »(1) وفى العقيدة الطحاوية : « وفى أقوام آخرين قد أمر بهم الى النار فيشفع لهم ألا يدخلوها »(2) ٠

وقال النووى أن مسلم ذكرها ٠ الا أنه بتتبع الأحاديث الواردة فى صحيح مسلم لم نجد شفاعة للرسول فيمن استوجبوا النار ألا يدخلوها، ولكن يدخل الله الجنــة من يشاء برحمته ومغفرته ، ولم يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من دخلوا الجنة كانوا يستحقون دخول النار ، وانما شفاعته صلى الله عليه وسلم — كما سأبين فيما بعد — كانت لمن دخل النار بالفعل للخروج منها ٠

كذلك دخول الجنة لمن يشاء الله برحمته ومغفرته لا تدع للشفاعة مكانا ، حيث أن أهل السنة فرقوا أهل التوحيد فى الحساب يوم القيامة على ثلاث : اما أن يغفر الله لهم ويدخلهم الجنــة ، واما أن يشفع لهم الرسول ، واما أن يدخلوا النار لقضاء ما عليهم من ذنوب جزاء وفاقا كما جاء فى القرآن الكريم وتبعا لوعيــد الله تعالى للعصاة ، وذلك لمن

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووى رقم ٢٥١ باب اثبات الشفاعة ٠

(2) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٢٢ ٠

خرج من الدنيـــا على كبيرة دون توبة ، أو الذين غلبت ســـيئاتهم حسناتهم .

فقد قال القشـــيرى : « ومن خرج من الدنيا على ايمانه وان كان مرتكبا لفسقه وعصيانه لا يخلد فى النار فاما أن يغفر له بفضله تعالى ، أو بشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أو يعذبه مدة ثم لا محالة يرده الى الجنة »(٣) .

فهنا فرق أهل السنة بين المغفرة والشفاعة ، وكذلك فرق ابن حزم بين دخول الجنة بالرحمة من الله تعالى وبين الشفاعة ، فمن يدخل الجنة برحمته تعالى لايحتاج الى الشفاعة ، ولذلك فقد أنكر ابن حزم الشفاعة التى لغير أهل الكبائر وهم الذين غفـــر الله لهم ذنوبهم وفى ذلك يقول ابن حزم : « .. بأن رجحت حسناته على كبائره أو بأن لم يكن له كبيرة أو بأن تاب عنها فهو مغن له عن شفاعة كل شـــافع ، فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به الى الجنة ففيما ذا يشفع »(٤) .

وما جاء فى هذا الصـــدد ما رواه أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل الله أهل الجنـــة ، يدخل من يشاء برحمته ويدخل أهل النار النار »(٥) ، ثم يذكر الرسول صلى الله عليه

---

(٣) ثلاث رسائل للقشيرى النيسابورى رسالة على الاعتقاد ص ٣٢ . وهو عبـــد الكريم بن هوازن بن عبـــد الملك بن طلحة بن محمد القشيرى النيسابورى توفى ٤٦٥ هـ وهو صوفى مفسر فقيه محدث متكلم واعظ يعرف الأصـــول على مذهب الأشـــعرى والفروع على مذهب الشـــافعى مقدمة الكتاب .

(٤) الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ ص ٦٥ .

(٥) شرح العقيدة الواسطية لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٠٥ .

وسلم بعـــد ذلك خروجهم من النار بالشفاعة • عن أبى سعيـــد قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل »(٦) •

الى غير ذلك من الأحاديث التى تثبت شفاعة الرسول لمن دخلوا النار لخروجهم منهـــا • أما أهل الجنـــة منهم من يدخلها برحمة الله تعالى •

---

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١ ص٤٤٦ باب اثبات الشفاعة •

فيمن دخل النار من المؤمنين

شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أهل الكبائر وفيمن دخل النار من المذنبين ، وهى للرسول والملائكة واخوانهم المؤمنين . وهذه الشفاعة قال بها أهل السنة والأشاعرة وأنكرتها المعتزلة . قال ابن حزم أنكر المعتزلة الشفاعة لأهل الكبائر على أنه « لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها »[1] .

وقد أنكر الخوارج هذه الشفاعة أيضا[2] « اذ أوجبوا التكفير بارتكاب ذنب واحد مستندين فى ذلك الى ما عرف من قضية ابليس وما ورد فى القرآن من الآيات الدالة على تخليد العاصى »[3] .

والدليل على هذه الشفاعة قوله صلى الله عليه وسلم : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »[4] .

وأكثر ما وقع الخلاف فيه هو الشفاعة لأهل الكبائر ، وقد كثر فيها ايراد الأدلة لكلى الفريقين الذى يثبتها والفريق الآخر الذى يقرها ، فقد ساق المعتزلة كثيرا من الأدلة على بطلان القول بالشفاعة لأهل الكبائر منها ما ذكرها القاضى عبد الجبار ، ومنها ما نقلها عن المعتزلة آخرون .

---

(١) الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ ص ٦٤ .

(٢) المواقف ص ٣٧٦ وانظر مقالات الاسلاميين جـ ٢ ص ١٦٦ .

(٣) غاية المرام الآمدى ص ٣٠٥ .

(٤) الترمذى فى كتاب القيامة .

أولا : أدلة المعتزلة :

استدلت المعتزلة على خلود أهل الكبائر فى النار ، مما يترتب عليه انكارهم الشفاعة للعصاة بأدلة من القرآن الكريم وأخرى من الأحاديث النبوية الشريفة ، وأدلة أخرى عقلية ٠

أولا : الأدلة من القرآن الكريم :

الأدلة من القرآن الكريم يمكن تقسيمها الى ما يلى :

١ — الآيات الدالة على عمومات الوعيد بالخلود ، وقد قال فيها القاضى عبدالجبار « عمومات الوعيد تنقلنا من التجويز الى القطع على أن أصحاب الكبائر يفعل بهم ما يستحقونه ، وأنه تعالى لا يغفر لهم الا بالتوبة والانابة »(٥) ٠

وقال الامام يحيى بن الحسين يجب على المؤمن « أن يعلم أن وعده ووعيده حق ، من أطاعه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار أبد الأبد »(٦) ٠

فالوعيد بدخول النار والخلود فيها عند المعتزلة عام للعصاة والفساق والفجار سواء كانوا من الكفار أو من المؤمنين ٠ قال القاضى : « فالله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار ويخلدون فيها والعاصى اسم يتناول الفاسق والكافر جميعا فيجب حمله عليهما ، لأنه تعالى

---

(٥) شرح الأصول الخمسة ص ٦٧٨ ٠

(٦) رسائل العدل والتوحيد ص ٦٧ جـ ٢ ٠ الامام يحيى يلتزم فكريا بأصول أهل العدل والتوحيد كما هى معروفة عند المعتزلة باستثناء الموقف من الامامة يلتزم فيه موقف الشيعة الزيدية ٠ هو امام الزيدية عام ٨٩٣ هـ ٠

أو أراد أحدهما دون الآخر لبينه فلما لم يبينه دلّ على ما ذكرناه »
وقال القاضى « من حصرها فى الكافر فعليه الدليل » •

ومن الآيات التى استدلت بها المعتزلة على تخليد العاصى فى النار مما ينفى الشفاعة له هى :

(ا) قوله تعالى : « من يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها » ووجه الاستدلال من هذه الآية أنها عند المعتزلة تخص كل عاص مؤمنا كان أو كافرا ، فتعدى الحدود هنا ليس المراد منه ارتكاب الكبائر كلها تركا واتيانا حتى تخص الكافر دون المؤمن العاصى، فان هذا محال لما بين البعض من التضاد كاليهودية والنصرانية والمجوسية • ولذلك فتعدى الحدود هنا « يحمل على مورد الآية من حدود المواريث » والآية مع ذلك تفيد العموم أى تحمل على المؤمن الذى يتعدى حدود الله من الصلاة والزكاة والصوم وغيرها كما أنها تعود على الكافر على حد سواء ، وهى تفيد العموم لأن كلمة « من » التى تصدرت الآية جاءت فى معرض الشرط ، واذا كانت « من » فى معرض الشرط كما يقول المعتزلة فهى تفيد العموم •

وقالوا ان الآية ليست فى تعدى جميع الحدود ، فذلك الذى يقع من الكافر ، لأن القول « تلك حدود الله » حددت الحدود المذكورة فى الآية وجعلت من يتعداها عاصيا يدخل النار مخلدا فيها وذلك لأنه لم يوجد فى المكلفين من يتعدى جميع حدود الله •

كذلك ليست الآية راجعة الى الكافر ، لأن المؤمن هو المراد بأول الآية ، فكذلك يكون هو المراد بآخرها ، وعلى ذلك فهى راجعة الى المؤمن الذى يتعدى حدود الله[٧] •

(٧) الشفاعة العظمى ص ٦١ •

وقد حدد أبو هاشم الحدود فى ثلاثة فعلى هذا قال القاضى « أن الفاسـق كافر فى أنه ربما يتعـدى ثلاثة بل أربعة من حـدود الله تعالى »[٨] ٠

وكذلك أبو على حدد العاصى بأنه من تعدى ثلاثة من حدود الله وذلك للمؤمن العاصى أو الكافر لأن الكافر كالمؤمن فى أنه لا يتعدى على حدود الله أجمع ، لأن حمله على جميع الحدود أى تعدى جميع الحدود لاينطبق على المؤمن العاصى ولا على الكافر ٠ قال أبو على : « لو حملتـه على الاستغراق لخرج الكلام عن الفائدة أبتـة لأنه لا يوجد فى الكفار من تعدى على حدود الله أجمع ، فلا يمكن حمله والحال هذه لا على الكفار ولا على الفساق فحملته على الثلاثة للعرف الحاصل فيه فالمتعارف من حال الأمة أنهم يجرون هذا الاسم على الفاسق فيقولون قد تعدى من حدود الله تعالى وجاز الرسم »[٩] ٠

وعلى ذلك فانه لو كان المتعدى لحدود الله فى هـذه الأفعال التى حددتها الآية دون الاضـافة لحدود أخرى يستوجب العقاب وبالتالى الخلود فى النار ، وهى كما ذكرت المعتزلة ترجع الى المؤمن العاصى ، فالمؤمن العاصى اذن مخلد فى النار ، وان كان مخلدا فى النار لا يجوز خروجه منها وبالتالى لا يجوز فى حقه الشفاعة ٠

(ب) ومن الآيات الكريمة التى اسـتدل بها المعتزلة أيضا الدالة على عمومات الوعيد بالخلود قوله تعـالى : (ومن يعصى الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا)[١٠] ٠

---

(٨) شرح الأصول الخمسة ص ٦٥٧ ٠

(٩) المرجع السابق ص ٦٥٨ ٠

(١٠) سورة الجن آية ٢٣ ٠

قال القاضى عبد الجبار عن هذه الآية انها تدل على ما قلناه فانها ليس فيها « ذكر التعــدى لحدود الله » وهى تدل على دخول العاصى النار وخلوده فيها ، وقال : « ان هــذه الآية كلام مستقل بنفسه غير محتاج الى ما يفسره من الآيات بعــده وأن كانت الآيات بعده تخص الكافر ، فلا يمنع ذلك من العموم لهذه الآية المستشهد بها »[١١] .

وعلى ذلك تكون معنى الآية كما قال المعتزلة ومن يعص الله ورسوله مؤمنا كان أو كافرا فان له نار جهنم خالدين فيهــا أبدا ، فالوعيد هنا لكل من المؤمن والكافر ، والعقاب هو الخلود فى النار ، واذا كان المؤمن مخلدا فى النار بمعصيته بمقتضى وعيد الله له فلا يخرج منها بشفاعة الرسول ، فلا شفاعة للعاصى المؤمن .

(جـ) ومن النصــوص القرآنية التى استدل بها المعتزلة أيضا على عموم الوعيــد قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها »[١٢] .

ووجه الاستدلال كما قال القاضى : « انه تعــالى بين أن من قتل مؤمنا عمدا جازاه وعاقبه وغضب عليه ولعنه » دون تحديد وتخصيص للقاتل ان كان من المؤمنين أو الكفار . وقال القاضى ان الآية لا تحمل على الاستحقاق ولكن على الوقوع بالفعل فى الآخرة ، لأنها لو حملت على مجرد الاستحقاق دون الوقوع بالفعل « لاقتضى أن يكون قد عدل بكلام الله تعالى عن الحقيقــة الى المجاز ، وذلك مما لا يسوغ أصلا »[١٣] .

---

(١١) شرح الأصول الخمسة ص ٦٥٨ .

(١٢) النساء ٩٣ .

(١٣) شرح الأصول الخمسة ص ٦٦٠ .

وقد يرد على هذا الاستشـــهاد ما ذكره الآمدى وهو ما يفيد أن الآية الكريمة قد اقترن بها ما يدل على تخصيصها للكافر فان « اللعنة والغضب فى حق من قتـــل انما يتحقق فى حق من كان لذلك مســـتحلا معتقدا »[١٤] ولا يكون كذلك الا الكافر ٠

ويرد على المعتزلة قولهم بعمومات الوعيد بالخلود بآية المغفرة التى فرق الله فيها بين المشرك الكافر وبين غيره من المؤمنين سواء كان عاصيا أو مؤمنا خالصا ٠ قال الآمدى ان هذه الآية وغـــيرها من الآيات التى عمموها « محمولة على الكافرين المســـتحلين لما يأتونه المستوجبـــين لما يقترفونه دون العصاة من المؤمنين ومن أذنب ذنبا من المسلمين » ٠

وقال ان دليل التخصيص يظهر فى قوله تعالى : (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـــاء)[١٥] « ومع هذا الدليـــل المخصص لها يمتنع القول بتعميمها »[١٦] فالآية هنا فرقت بين المؤمن عاصيا كان أم غير عاص والكافر ، فالمؤمن مغفور له دون الكافر وعلى ذلك تحمل الآيات التى استدل بها المعتزلة من تخصيصها للكفار ٠

وقال الآمدى ان تخصيص آية المغفرة لأصحاب الكبائر التائبين كما قال بذلك المعتزلة ممتنـــع ، والقول به لا يتفق مع دلالة الآية ، ولا يتفق مع مذهب المعتزلة فى التائبين لأن العفو والمغفرة واجبة عند التوبة كما قال القاضى عبد الجبـــار ، كما أن المغفرة فى الآية متعلقة بالمشيئة والمشيئة تعارض الوجوب وعلى ذلك فتخصيصها بالتـــائبين

---

(١٤) غاية المرام ص ٣٠٨ ٠

(١٥) سورة النساء آية ٤٨ ٠

(١٦) نفس المرجع ص ٣٠٦ ٠

باطل[١٧] ، وقال الآمدى : « ان تخصيص هذه الآية بأصحاب الكبائر التائبين ليس أولى من العكس بل هو الأولى لما فيه من تخصيص ظاهر واحد بظواهر متعددة »[١٨] .

وقال ابن بطال : « حمل الشفاعة لصاحب الكبيرة الذى تاب منها ، وبصاحب الصغيرة الذى مات مصرا عليها يخالف أصل قائله لأن من قواعد المعتزلة أن التائب من الذنب لا يعذب وان اجتناب الكبائر تكفر الصغائر »[١٩] .

وعلى ذلك فقــد أثبت الآمدى أن هنــاك فرقا بين المؤمن العاصى والكافر وأن المؤمن العاصى مغفور له من الله تعالى وليس كذلك الكافر واذا كان ذلك كذلك فالمتعدى لحدود الله من المؤمنين غير المتعدى لحدود الله من الكافرين فالمؤمن معه أصل الايمان والاعتقاد الذى استحق به المغفرة ، وليس كذلك الكافر وهذا الفرق بينهما يظهر فى التخليد فى النار فالمؤمن لا يخلد والكافر غــير ذلك وعلى ذلك فالمؤمن العاصى يؤذن فيه بالشفاعة دون الكافر .

وقد زاد الشهرستانى فى الرد على آيات عموم الوعيد التى أستدل بها المعتــزلة على خلود صاحب الكبيرة فى النـــار قوله تعالى : (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفســـهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) فان هذه الآية وما قبلها من آية المغفرة ظاهرها يعارض الآيات التى استدل بها المعتزلة . وقال ان ما تمسك به المعتزلة من آيات الوعيد تفيد الاستحقاق والاستحلال وليس الوقوع بالفعل فى

(١٧،١٨) المرجع السابق ص ٣٠٧ .

(١٩) فتح البارى ج ١١ ص ٤٢٨ كتاب الرقاق .

عموماتها ، وأما هى فى ظواهرها فمخصوصات وقال « ان خص هذا العام بالتـوبة من غير دلالة التخصـيص فخص تلك العمومات بحال الاستحلال فى كل آية دليل على التخصيص »[٢٠] ٠

يقصـد بذلك انه لو خصص العموم الذى هو ظاهر قوله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) بصاحب الكبيرة الذى تاب عن كبيرته ، فكان تخصيص العمومات للوعيد فى الآيات التى استشهد بها المعتزلة بحال الاستحلال والاسـتحقاق دليل على التخصـيص بأن الوعيد فى الآيات خاصة بالكفار دون المؤمنين العصاة ٠

وقال التفتازانى أن لله أن يسقط العقاب عن العبد المؤمن لما فيه نفعا للعبـد دون وقوع اضرار بالغـير ٠ قال : « ان العقاب حقه فله اسقاطه مع أن فيه نفعا للعبد من غير ضرر لأحد »[٢١] ٠

والدليل على وقوعه كما ذكر التفتازانى قوله تعالى : « ويعفو عن السيئات »[٢٢] « ان الله يغفر الذنوب جميعا »[*] ٠

وأقول فما استدل به من آيات المغفرة فى الرد على المعتزلة فى قولهم بعموم الوعيد ، وان كانت تدل على الفرق بين المؤمن العاصى والكافر ، الا أنها لاتدل دلالة مباشرة على الشفاعة لأهل الكبائر ،فالعاصى بمقتضى هذه الآيات مغفور له من الله تعالى . والشفاعة غير المغفرة ، فالذى غفر له الله ليس بحاجة الى الشفاعة ــ كما ذكرت من قبل ــ وان كانت من ناحية أخرى تدل ضمنا على الشفاعة لأهل الكبائر ، لأنه لو كان أهل

---

(٢٠) نهاية الاقدام ص ٤٧٧ ٠

(٢١) شرح المقاصـد ص ١٦٠ وانظر مدارج السالكين جـ ١ ص ٢٩٧ ابن القيم الجوزية ٠

(٢٢) الشورى آية ٢٥ ٠

(*) الزمر آية ٥٣ ٠

الكبائر العصـــاة واقعين تحت مغفـــرة الله تعالى ، فمن باب أولى هم واقعون تحت شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن منه سبحانه وتعالى .

وأخيرا قد يرد القول بعمومات الوعيد ، بأن عمومات الوعيد لا تفيد العموم حيث أخرج منهـــا ، كما ذهب الى ذلك المعتزلة ، صاحب الكبيرة التائب وصاحب الصغيرة ، واذا كان كذلك فبالمثل يخرج منها أيضا من غفر الله له ذنبـــه وأسقط عنه العقوبة ، ولذلك فالقول بعمومات الوعيد باطل لأنه لا ينطبق على هؤلاء[٢٣] .

وقد رد القاضى عبد الجبار هذا الاعتراض بذكر الفرق بين عقاب التائب وعقاب العاصى مســـتندا الى مذهبهم فى الحسن والقبح العقليين فالتائب عن المعاصى ، وما كانت معاصيه أقل من طاعاته لا يحسن عقابه وأما العاصى يحسن عقابه ، وتفضل الله بالمغفرة للعاصى واسقاط العقاب لا يخرج العقاب من أن يكون حسنا .

قال القاضى عبـــد الجبار : « فان القديم تعالى اذا توعد العصاة فانما يتوعدهم بالعقاب الحسن ، ولا يحسن معاقبـــة التائب وصاحب الصغيرة ، فلهذا أخرجا من عمومات الوعيـــد ، وليس كذلك الحال فى صـــاحب الكبيرة ، فان عقابه يحسن ، وجواز أن يتفضـــل بالاسقاط لا يخرج العقاب من أن يكون حسنا ، بخلاف التوبة ، وبخلاف ما اذا كانت طاعاته أعظم من معاصيه ففار أحدهما الآخر »[٢٤] .

أقول أن القول الحسن لا يفهم منـــه الوقوع حقيقة ، وخاصة مع اخبار الله تعالى بمغفرته ورحمته ، فان الذى غفر الله له ذنبه وأسقط

---

(٢٣) شرح الأصول الخمسة ص ٦٦٣ .

(٢٤) المرجع السابق ص ٦٦٤ .

عقوبته رحمة منه وتفضلا لا يقل فى عدم الاستحقاق للعقاب عن التائب لأنه لو لم يستحق المغفرة والرحمة لما علم من أحواله لما غفر الله له وعلى ذلك فسقوطه من العمومات واجب عقلا وسمعا ، واذا صح ذلك فقد فسد رأى المعتزلة فى عمومات الوعيد المؤمن العاصى والكافر ، واذا رد قولهم فى عمومات الوعيد رد مذهبهم فى تخليد المؤمن العاصى فى النار ، واذا لم يكن مخلدا فى النار صحت فيه شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـ الآيات التى جاءت فى عمومات نفى الشفاعة

استدل المعتزلة على مذهبهم بنفى الشفاعة لصاحب الكبيرة بآيات من القرآن الكريم تدل على نفى الشفاعة مطلقا من هذه الآيات :

(ا) قوله تعالى : « ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » ٠

قال القاضى فى هـذه الآية : « فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيـع البتة فلو كان النبى صلى الله عليـه وسلم شفيعا للظلمة لكان لا أجل ولا أعظم منه »[1] ٠

والظالم كما قال المعتـزلة هو الآتى بالظلم وذلك يتناول الكافر وغيره[2] ٠

ويقصدون بغير الكافر المؤمن العاصى وهو صاحب الكبيرة ، وعلى ذلك فالآية تدل على نفى الشـفاعة لأهل الكبائر الموصـوفين فى الآية بالظالمين ٠

والظلم كما ذكر ابن تيمية ثلاثة أنواع :

١ ـ الظلم الذى هو شرك ٠

٢ ـ ظلم الناس بعضهم بعضا ٠

٣ ـ ظلم الانسان نفسه ٠

قال ابن تيمية ان الظلم الذى هو شرك لا شفاعة فيه ، وظلم الناس بعضهم بعضا فيشفع للظالم وان أخذ حق المظلوم منه ، وظلم الانسان

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٩ ٠

(٢) الشفاعة العظمى ص ٤٠ ٠

لنفسه يدخل فيه كل ذنب كبير أو صغير مع الاطلاق ولايدخل فيه الشرك الأكبر وصاحبه يدخل الجنة »[٣] ٠

وحاصل كلام ابن تيمية أن الظالم فى الآية تعود الى المشركين دون غيرهم ممن يصح اتصافهم بالظلم من أصحاب الكبائر ، واذا كانت الشفاعة منفية عن الظالم المشرك فهى ثابتة لا محالة وضمنا لغيرهم وهم أصحاب الكبائر للتفرقة بين المؤمن والكافر ٠ قال تعالى : (والكافرون هم الظالمون) وقد فرق الله تعالى بين المتقين والظالمين ، فقال سبحانه « ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا »[٤] ٠

٣ ـ الآيات التى تنفى الشفاعة لصاحب الكبيرة على ماقال المعتزلة وهى :

(ا) قوله تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)[٥] ٠

قال المعتزلة فى ذلك « أن الله تعالى أخبر أن ملائكته لا يشفعون لأحد الا أن يرتضيه الله عز وجل والفاسق ليس بمرتضى عند الله تعالى بحسب فسقه وفجوره واذا كانت شفاعة الملائكة منفية للفاسق فكذا شفاعة الأنبياء عليهم السلام ولا فرق »[٦] ٠

وقد رد هذا الدليل بأن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى حسب ايمانه وتوحيده واذا كان مرتضى عند الله وجب أن يكون من المستحقين للشفاعة ٠ لأن قوله تعالى : (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) استثناء من

---

(٣) كتاب الايمان ص ٦٩ — ٧١ ٠

(٤) سورة مريم آية ٧٢ ٠

(٥) الأنبياء ٢٨ ٠

(٦) الشفاعة العظمى ص ٤١ ٠

النفى،لأنه نفى الشفاعة واستثنى منهذا النفى من كان مرتضىوالاستثناء من النفى اثبات ، فوجب أن يكون المرتضى أهلا لشفاعة الملائكة ، وصاحب الكبيرة مرتضى عند الله تعالى ، واذا ثبت أن صاحب الكبيرة داخل فى شفاعة الملائكة وجب دخوله فى شفاعة الأنبياء وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا فرق(٧) .

يقول أهل السنة فى ذلك أن صاحب الكبيرة مرتضى عند الله بحسب ايمانه وتوحيده وكونه مرتضى بحسب ايمانه وتوحيده لا يناقض كونه غير مرتضى بحسب فسقه فمتى ثبت أنه مرتضى بحسب اسلامه ثبت كونه مرتضى ، واذا كان المستثنى مجرد كونه مرتضى ومجرد كونه مرتضى حاصل عند كونه مرتضى بحسب ايمانه وجب دخوله تحت الاستثناء وخروجه عن المستثنى منه ومتى كان كذلك ثبت كونه من أهل الشفاعة .

وقال ابن حزم فى قوله تعالى : « ولايشفعون الا لمن ارتضى » وهذا لا حجة لهم فيه لأن من أذن الله فى اخراجه من النار وأدخله الجنة وأذن فى الشافع للشفاعة له فى ذلك فقد ارتضاه وهذا حق » وذلك لأن «الفقير الى الشفاعة من غلب كبائره حسناته فأدخل النار ولم يأذن تعالى باخراجه منها الا بالشفاعة »(٨) .

وعن ابن عباس « فى قوله عز وجل (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) هم الذين ارتضاهم بشهادة أن لا اله الا الله »(٩) .

---

(٧) المرجع السابق ص ٤٧ .

(٨) الفصل فى الملل والنحل جـ ٤ ص ٦٥ وانظر الابانة عن اصول الديانة ص ٧٤ .

(٩) الاعتقاد على مذهب السلف ص ١١٣ .

ان قوله تعـــالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى تحتـــوى على نفى واثبات للشـــفاعة ، والشفاعة المنفيـــة عامة كما بينت من قبل خاصة بالكافر ، والمثبتة هى التى لأهل التوحيد سواء كان عاصيا أو غير ذلك فالشفاعة لمن ارتضى هنا يدخل فيها من حقت له الشفاعة من أهل التوحيد وبالتالى يدخل فيها المؤمن العاصى ، لأنه بحسب ايمانه يكون من أهل التوحيد .

(ب) ومن الآيات التى استدل بها المعتزلة على نفى الشفاعة لأهل الكبائر قوله تعالى : « فاغفر للذين تابوا » قالوا فالآية تدل فى ظاهرها على أن المغفرة تكون للذين تابوا من أهل الكبائر ، فلو كانت الشفاعة حاصلة للفاســق لم يكن لتقيــدها بالتوبة ومتابعة السبيل فى الآية معنى[١٠] .

قال التفتازانى فى ذلك « لا نسلم أن الذين تابوا لا يتناول الفاسق فان المراد تابوا عن الشرك اذ لا معنى لطلب مغفرة من تاب عن المعاصى وعمل صـــالحا عندكم لكونه عبثا أو طلبـــا لترك الظلم بمنع المستحق حقه »[١١] .

ما قاله التفتـــازانى كما يرجع على التائب عن الشرك يرجع على التائب من الكبيرة ولا فرق ، فالتوبة وحدت بينهما ، فالمراد من الآية هنـــا هو المغفرة للتائب سواء كانت التوبة من الشرك أو من الكبيرة ، وعلى ذلك يكون المعنى المغفرة لمن تاب لتوبته ، والمغفرة تكون من الله تعالى وهى تختلف عن الشفاعة التى يأذن الله فيها للرسول ، فلا تحمل المغفرة هنا على الشفاعة .

---

(١٠) الشفـاعة العظمى ص ٤٣ .

(١١) شرح المقاصد ص ١٦١ .

٤ ـ الاستدلال بآيات تدل على خلود الفساق فى النار ومن ذلك قوله تعالى :

(ا) « ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين »[١٢] . قالت المعتزلة كل الفجار يدخلون النار وأنهم لا يغيبون عنها وان كانوا لا يغيبون عنها ثبت بذلك أنهم لا يخرجون منها ، وان كان كذلك لم يكن للشفاعة أثر لا فى العفو عن العقاب ولا فى الاخراج من النار بعد الادخال فيها »[١٣] .

وقد رد الرازى هذا الدليل بأنه « يجب حمل لفظ الفجار على الكامل فى الفجور وهو الكافر »[١٤] .

وقال الايجى فى المواقف ان هذه الآية معارضة بالآيات الدالة على الوعد بالثواب نحو قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خير يره » وقوله : « ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » وقوله تعالى : « وهل جزاء الاحسان الا الاحسان » وهى عند المعتزلة تنافى استحقاق العقاب »[١٥] .

وقال الايجى « وان سلمنا فيجب تخصيصها بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار نحو قوله تعالى : « انا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى » وقوله تعالى : « ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين » وقوله سبحانه : « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها

---

(١٢) ذكرها الرازى فى أصول الدين ص ١٢٦ (مسألة ١٢) .

(١٣) الشفاعة العظمى ص ٤٢ .

(١٤) أصول الدين ص ٢٢٦ (مسألة ١٢) .

(١٥) المواقف ص ٣٧٧ .

ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا فى ضلال مبين » وقال انها خاصة بالعذاب المؤبد وذلك توفيقا وجمعا بينها وبين الأدلة على وعيد الفساق »[١٦] .

(ب) ومن الآيات أيضا قوله تعالى : « من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » قالت المعتزلة أن الخلود يكون حقيقة فى الدوام ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » مع أنه تعالى قد جعل لكثير منهم المكث الطويل »[١٧] .

قد أخذ الايجى الخلود هنا بمعنى المكث الطويل ، والقول بأن الخلود بمعنى التأبيد أو الدوام معارض بما يقال حبس مخلد ووقف مخلد ، وخلد الله ملكه ، وقال : « الآية حملناها على الدوام لقرينة الحال »[١٧] .

ان اعتراض المعتزلة على تفسير الخلد بالمكث الطويل فى غير محله حيث أنهم قاسوا المكث الطويل فى الدنيا بالمكث الطويل فى الآخرة ففى الآخرة يوم واحد يساوى ألف سنة من أيام الدنيا . قال تعالى :(وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)[١٨] ولم يصل أحد فى الدنيا بحساب السنين فى الدنيا الى يوم واحد من أيام الآخرة . قال تعالى : « فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما »[١٩] .

---

(١٦) المواقف ص ٣٧٨ .
(١٧) المواقف ص ٣٧٧ .
(١٨) سورة الحج آية ٤٧ .
(١٩) العنكبوت آية ١٤ .

ثانيا : الاستدلال بالسنة :

استدل المعتزلة على نفى الشفاعة لأهل الكبائر بما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة عدم دخول أهل الكبائر الجنة منها : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا نمام ولا عاق » وقوله « من تردى من جبل فهو يتردى من جبل فى نار جهنم خالدا مخلدا » وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالدا أبدا »(١٩) وقوله أيضا من يحتسى سما يحتسى سما فى نار جهنم خالدا أبدا »(٢٠) .

وقد نقل الرازى بعض الأحاديث التى استدل بها المعتزلة منها قوله صلى الله عليه وسلم : « .. ألا فليزاد رجال عن حوض كما يزاد البعير الضال . أناديهم ألا هلموا ألا هلموا » فيقال انهم قد بدلوا بعدك فأقول : « فسحقا فسحقا » .

ولفظ الحديث كما جاء فى صحيح البخارى : « عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دونى ، فأقول : يا رب أصحابى ، فيقال : انك لا تدرك ما أحدثوا بعدك »(٢١) .

وعن أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم يزيد فيها : « فأقول انهم منى ، فيقال : أنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى »(٢٢) .

---

(١٩) مدارج السالكين جـ ١ ص ٢٩٧ .

(٢٠) الشفاعة العظمى ص ٤٣ مسلم كتاب الطهارة حديث رقم ٣٨ .

(٢١) باب فى الحوض حديث رقم ٦٥٧٦ جـ ١١ ص ٤٦٣ فتح البارى .

وقال ابن عباس : سحقا بعدا ، يقال سحيق بعيد ، سحقه وأسحقه أبعده[٢٢] .

ووجه استدلال المعتزلة من هذا الحديث هو أنه صلى الله عليه وسلم لو كان شفيعا لهم لم يكن يقول « فسحقا فسحقا » لأن الشفيع لا يقول ذلك ، وكيف يجوز أن يكون شفيعا لهم فى الخلاص من العقاب الدائم ، وهو يمنعهم شربة ماء ؟[٢٣] الى غير ذلك من الأحاديث التى فى نفس المعنى نكتفى بما ذكرنا منعا للاطالة .

وقد رد الرازى الاستدلال بالأحاديث على أنها « دالة على أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يشفع لبعض الناس فى بعض مواطن القيامة ، وذلك لا يدل على أنه لا يشفع لأحد البتة من أصحاب الكبائر ، ولا أنه يمتنع من الشفاعة فى جميع المواطن »[٢٤] .

قيل فى تفسير هذا الحديث عن الحوض أن الذين قال لهم الرسول « فسحقا فسحقا » هم الذين ارتدوا على عهد أبى بكر فقاتلهم أبوبكر ، يعنى حتى قتلوا وماتوا على الكفر . وقيل هم المنافقون أو من مرتكبى الكبائر وأصحاب البدع ، والمرتدون[٢٥] .

وأجيب عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم « فسحقا » بأنه لا يمتنع أن يقال ذلك لمن علم أنه قضى عليه بالتعذيب على معصيته ثم ينجو بالشفاعة فيكون قوله سحقا تسليما لأمر الله مع بقاء الرجاء ، وكذا القول فى أصحاب الكبائر»[٢٥] .

---

(٢٢) حديث رقم ٦٥٨٤ باب فى الحوض صحيح البخارى فتح البارى ج ١١ ص ٤٦٤ كتاب الرقاق .
(٢٣) الشفاعة العظمى ص ٤٣ .
(٢٤) الشفاعة العظمى ص ٥٠ .
(٢٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١١ ص ٣٨٦ .

وعلى ذلك اذا حمل الحديث على المرتدون عن الاسلام كان حكمهم حكم المشركين والكفرة فلا شفاعة لهم وان كانوا هم أصحاب الكبائر فهم ناجون بالشفاعة وان دخلوا النار ابتداء ، وعلى ذلك فالحديث لا يدل على نفى الشفاعة لأهل الكبائر .

كما أن التأبيد الذى جاء فى بعض الأحاديث وبعض آيات القرآن للعصاة من المؤمنين لا يدل على الدوام دون انقطاع ولكن الدوام حتى يأتى الوقت الذى يخرج فيه العصاة من النار الى الجنة ويأتى وقت الشفاعة لهم باذنه سبحانه وتعالى لرسوله .

ومن الاستدلال بالسنة لدى المعتزلة ما أورده الآمدى وهو قوله صلى الله عليه وسلم « لا ينال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى » قالوا كيف يحمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم هذا على معصية الكافر مع أنه أدرجهم فى أمته وأدخلهم فى ملته »(٣٦) .

قال الآمدى عن هذا الحديث أنه ضعيف من جهة السند ويحمله على من كفر من الأمة(٣٧) ، وقال الشيخ عبد السلام المالكى « أن حديث لا تنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى ، موضوع باتفاق وبتقدير صحته فهو محمول على من أرتد منهم »(٣٨) .

وقال الآمدى ان هذا الحديث مع ضعفه فان اضافة أهل الكبيرة لملته عليه السلام لا يتعارض مع كون الكبيرة الصادرة منهم كفران وشرك بعد الايمان ، وتسميتهم بأهل الكبائر « من أمتى » فى حال كونهم

---

(٢٦) غاية المرام ٣٠٨ وأورده الآمدى فى الابكار ٢ / ٢٢٨ .

(٢٧) غاية المرام ص ٣٠٩ .

(٢٨) اتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام المالكى على جوهرة التوحيد للامام اللقانى ص ١٥٣ .

كفرة ومشركين من باب التسمية الشىء باسم ماكان عليه من قبل تجوزا وتوسعا فهم قبـل كفرهم وشركهم كانوا من ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال من أمتى باعتبار ما كان قبل الشرك • وقال الآمدى ان هذا القول هو الأولى •

وقد أورد فى الرد ماروى عن النبى بالرواية الصحيحة المشهورة أنه قال : « ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »(٢٩) وقال الآمدى « ان هذا الحديث يخالف الأول فالأول محمول على كبيرة الكفر ولو لم يكن كذلك للزم منه تعطيل أحد الحديثين عن العمل به مطلقا ، ولا يخفى أن التعطيل أبعد من التأويل على ما لا يخفى » •

واستدل الآمدى على أن الحديث الأول — ان صح — محمولا على الكفر والشرك بأن « الأدلة الواردة فى باب الشفاعة مع اختلاف ألفاظها أكثر من أن تحصى » وقال : « ان التمسك بها أقرب وأولى »(٣٠) •

* * *

ومن الادلة التى استدل بها المعتزلة أيضا الاجمـاع على صحة الدعاء بالقول «اللهم اجعلنا من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم » :

قال القاضى عبد الجبار : « ثم يقال لهؤلاء المرجئة أليس أن الأمة اتفقت على قولهـم : اللهم اجعلنا من أهل الشـفاعة ، فلو كان الأمر

---

(٢٩) سوف اذكر موقف المعتزلة من هذا الحديث فيما بعد انظر ص٩٠ •

(٣٠) غاية المرام ص ٣٠٩ •

ما ذكرتموه لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق وذلك خلف »[٣١] .

ومعنى ذلك أنه لو صح كون الشفاعة لأهل الكبائر (محصورة فيهم على رأى المرجئـــة) لكان الدعاء « اللهم اجعلنـــا من أهل الشفاعة » دعاء بارتكاب الكبائر ليستحقوا الشفاعة .

وقالت المعتزلة لا يقاس هذا الدعاء بالدعاء بأن يكونوا من التوابين لأن هذا الدعاء لا يلزم أن يجعلهم فســـاقا ملعونين ، فان التوبة قد تحسن عما لا يقبح أصلا وليس هكذا حال الشفاعة — عند المرجئة — حتى أن هذا الدعاء يحسن من أصحاب الصغائر والكبائر جميعا حتى يحسن من الأنبياء ، والشفاعة على العكس من ذلك ، فالرسول يعلم أنه ان لم يشفع لهم عوقب على ما ارتكبه من الكبائر[٣٢] .

وقد رد الماتريدى ذلك بأن صـــاحب الكبيرة يستوجب الشـــفاعة بالحسنات وليس بارتكابه الكبيرة فالحسنات هى الأصل ، فمن حلف وقال اللهم اجعلنى من أهل الشفاعة ، فيقال له أطع ولا يقال له أعص فباطاعتك تستوجب الشفاعة فيما عصيت .

قال الماتريدى : « ذلك وهم لأنه ليس الذى له يشـــفع هو الذى به يستوجب الشفاعة ، بل يستوجب بالحسنات التى بها يجب الولاية فيما ترك فحق من حلف بذلك ليس أن يقـــال له « أعص » ولكن يقـــال له « اطع » لتستوجب به الشفاعة فيما عصيت ، وكذلك من يحلف لأفعان

---

(٣١) شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٢ ، وانظر كتاب التوحيد المتريدى ص ٣٦٤ .

(٣٢) شرح الأصول ص ٦٩٢،٦٩٣ .

الفعل الذى استوجب به المغفرة ، لا يقال له ارتكب الصغائر بل يؤمر باتقاء الكبائر والتوبة عنها ليغفر له فمثله أمر الشفاعة »[٣٣] .

أقول ان قوله تعالى : « ولايشفعون الا لمن ارتضى » يعنى أن أهل الشفاعة هم الذين ارتضاهم ورضى عنهم الله تعالى ، وعلى ذلك فالدعاء بالقول : اللهم اجعلنى من أهل شفاعتك » يعنى اللهم اجعلنى من المرضى عنهم لديك . والله أعلم .

* * *

ثالثا : الأدلة العقلية :

وقد استدل المعتزلة بأدلة عقلية بنيت جميعها على مذاهبهم المختلفة من هذه الأدلة ما يلى :

قال القاضى عبــد الجبار : « ان أوجب التوقف فى وعيد الفساق فليوجبن التوقف فى وعيــد الكفار ، لأن حسن التفضل بالعفو والاسقاط ثابت فى حق الكافر ثباته فى حق الفاسق ، فيلزمهم أن يتوقفوا فى وعيد الكفار ، ومن توقف فى ذلك انسلخ عن الدين »[٣٤] .

أى أنه ان كان جزاء المعصية متناهيا لكان ذلك للفاسق والكافر على حد سواء فتناهى المعصية وجزاؤها جامع لهما .

وقد رد التفتازانى هذا الدليل « بأن الكفر لا يتناهى قدراً ، ومنع اعتبار القياس فى مقابلة النص والاجماع فى الاعتقاد »[٣٥] .

فى الحقيقة ان القيــاس هنا باطل وذلك لأن الله تعالى قد بين فى كتابه العزيز أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا وهو مؤمن ، والعمل هنا

---

(٣٣) كتاب التوحيد الماتريدى ص ٣٦٥ .

(٣٤) شرح الأصول ص ٦٦٤ .

(٣٥) شرح المقاصد ص ١٤٠ ج ٥ .

مفرد ، فلا يراد به أنه لا يضـيع أجر من أحسن عملا اذا كانت أعماله كلها حسـنة ، وهذا منتهى العدل من الله تعالى فلا يضـيع أجر من يعمل مثقال ذرة من الخير ، « من يعمل مثقال ذرة خيرا يره »[٣٦] ، فاذا كان المؤمن بجانب ايمانه يعمل أعمالا صـالحة فقد أوجب الله على نفسه ادخاله الجنـة ، وكان هذا الوعد من الله للمؤمن دون الكافر ، حيث أنه تعالى حكم على أبى لهب وهو ما زال على قيد الحياة ـ لعلمه تعالى أنه سيموت على الكفر ـ انه سيصلى نارا ذات لهب مهما قدم من أعمال صالحة وذلك لعدم ايمانه ، فالفرق واضح بين المؤمن العاصى والكافر ، كما أن الطاعات التى تصدر من الكافر وان كانت مما أمر الله بها ، الا أنه لا يفعلهـا ابتغاء وجه الله أو التزاما لأوامر الله فقد تكون ناشئة من العرف أو التربية دون مراعاة أوامر الله فيها ، بعكس المؤمن الذى يأتى بالطاعات فهو يفعلها لأنها أوامر صدرت من الله تعالى وابتغاء مرضاته ، وان أتى معها شىء من المعاصى فالفرق واضح ٠

كما أن قول القاضى يرى بوضوح أن هناك فرقا بين الكافر والمؤمن العاصى حيث أنه جعل من يتوقف فى وعيد الكفار منسلخ عن الدين ، ولم يجعله كذلك مع المؤمن العـاصى ، وذلك لأن الدين أخبر بأن وعيد الكفار لا يتوقف أبدا ، ولم يخبر بذلك عن المؤمن العاصى لوقوعه تحت رحمة الله تعالى ومغفرته ٠ وعلى ذلك فالقياس باطل من أساسه واذا بطل القياس بطل صحة الاستدلال به ٠

ومن الأدلة أيضا ما قاله القاضى عبد الجبار « ان العاصى لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يعفى عنه أو لا يعفى عنه فان لم يعف عنه فقد بقى فى النار خالدا فيها ، وهو الذى نقوله ، وان عفى عنه فلا يخلو

---

(٣٦) الزلزلة آية ٧ ٠

اما أن يدخل الجنة أو لا ، فان لم يدخل الجنة لم يصح لأنه لا دار بين الجنة والنار ، فاذا لم يكن فى النار وجب أن يكون فى الجنة لا محالة ، واذا دخل الجنـــة فلا يخلو ، اما أن يدخلهـــا مثابا أو متفضلا عليه ، لا يجوز أن يدخل الجنة متفضلا عليه لأن الأمة إتفقت على أن المكلف اذا دخل الجنة فلابد من أن يكون حاله متميزا عن حال الولدان المخلدين وعن حال الأطفال والمجانين ولا يجوز أن يدخل الجنة مثابا لأنه غير مســـتحق ، واثابة من لا يســـتحق الثواب قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبيح »(٣٧) ·

قد بنى القاضى هذا الدليـــل هنا على قولهم فى الاحباط والموازنة ، فدخول الفاسق الجنة لا يكون على استحقاق ، فدخول الجنة لا يكون الا للمؤمن الكامل الايمان ولمن لم ترقى هفواته الى حد الكبائر ، وأما المؤمن العاصى فقد أحبط استحقاقه دخول الجنة بمعاصيه ، فالمعاصى أحبطت الطاعات التى بها يدخل الجنة ، كما أن الدليل بنى على مذهب المعتـــزلة فى عدم اســـتحقاق العاصى دخول الجنـــة تفضلا من الله تعالى ·

وقد رد التفتازانى هذا الدليل بأن دخول الفاسق الجنة لا يكون على استحقاق بل بفضل الله ورحمته ووعده ومغفرته تعالى يدخل الفاســـق الجنة(٣٨) ·

وأقول ان الفاســـق أما أن يغفر الله تعالى له ابتداء ويدخله الجنة بفضله ورحمته دون أن يدخل النار · قال تعالى : « ان الله لا يغفر أن

---

(٣٧) شـــرح الأصول ص ٦٦٦ ·

(٣٨) شرح المقاصد ص ١٤٠ جـ ٥ ·

يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » واما أن يدخله النار يعذب بقدر معاصيه ثم يدخله الجنة بشفاعة الرسول صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، وفى كلتا الحالتين فهو فى الجنة لا محالة غير مخلد فى النار ٠

كما أن القول بالاحباط مردود لأسباب منها اختلاف علماء المعتزلة أنفسهم فى تحديد المعاصى التى تبطل وتحبط الطاعات فقال جمهور المعتزلة : ان الطاعات جميعها تحبط بمعصية واحدة حتى أن من عبد الله طول عمره ثم شرب جرعة خمر فهو كمن لم يعبده أبدا ٠ وقال الجبائى يحبط من الطاعات بقدر المعاصى فان بقى له زائد أثيب به والا لا ٠ وقال أبو هاشم : بل يوازن بين طاعاته ومعاصيه فأيهما رجح أحبط الآخر ٠

ومنها رد الايجى القول بالاحباط ٠ قال : « ولا يخفى أن تحكم وليس ابطال الطاعات بالمعاصى أولى من العكس بل العكس أولى » وقال: «ولما أبطلنا الأصل بطل الفرع»[٣٩] وهو احباط حسنات وطاعات الفاسق بالمعصية ٠

وقال الشهرستانى فى رد القول بالاحباط الذى قال به المعتزلة « والقول بأن المعاصى تحبط الطاعات ليس بأولى من القول بأن الطاعات ترفع المعاصى ، ومن قال صاحب الكبيرة يخلد فى النار بشرط تخفيف العذاب عليه بسبب تصديقه قولا وعقدا ، وطاعته المحبطة يعارض قول المرجى تخليد فى الجنة بشرط حطه عن درجة المطيعين بسبب ايمانه وساير طاعاته ٠ والطاعات لو احبطت كيف أثرت فى التخفيف ، كيف يتصور مع التخليد والتخليد كيف يجوز فى العدل على عمل مقدر بوقت ٠ بل وتخليد الكافر فى النار متى كان عدلا عقليا وهو لم يكفر

---

(٣٩) المواقف ص ٣٧٩ ٠

الا مائة سنة فهلا بقدر التعذيب بمائة سنة . أفمن غصب مائة دينار وأخذ منه مايتى دينار كان عدلا . قال هو على اعتقاد أنه لو بقى أبد الدهر بقى على الكفر . قيل واعتقاد أنه يعمل غير اعتقاد أنه عمل ، أليس من غصب ماية دينار على اعتقاد أن لو ظفر لم يؤاخذ بالألف ، كذلك فيما نحن فيــه ، فالعدل المعقول اذا ما ورد الشرع به والحكم المشروع حاول العقل عليه ، وهو أن العبد اذا كان مصدقا بقلبه مخبرا عن تصديقه بلسانه مطيعا لله تعالى فى بعض ما أمره به عاصيا له فى البعض ، اســتحق المدح بقدر ما أطاع واللوم بقــدر ما قد عصى فى الحال ، واستحق الثواب بقدرالايمان والطاعة ، والعقاب بقدر العصيان فى المآل »[٤٠] .

ان ما قاله الشــهرستانى هو خير ما قيــل فى رد احباط الطاعات بالمعاصى .

وقال الشهرستانى أيضا : « ثم يبقى أن يتعارض أمران أحدهما أن يثاب أو لا ثم يعاقب مخلدا أو بالعكس وليس فى الفضــل والعدل القسم الأول فان رحمة الله أوسع من ذنوب الخلق ، وفضله أرجى من العدل ولاتنقصه المغفرة ولاتضره الذنوب ، ولأن الايمان والمعرفة أحق بالتخليد عدلا وعقلا من معصية مؤقتة ولأنه لم يؤثر أن أحدا يخرج من الجنة إلى النار فبقى القســم الثانى ، وشفاعة النبى عليه السلام قد وردت سمعا حيث قال : « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »[٤١] .

* * *

ومن الأدلة أيضا التى استدل بها المعتزلة والخوارج قولهم : « أن

(٤٠) نهاية الاقدام ص ٤٧٥ .

(٤١) نهاية الاقدام ص ٤٧٦ .

الفاسق يستحق العقاب واستحقاق العقاب مضرة خالصة دائمة ، واستحقاق الثواب منفعة خالصة والجمع بينهما محال »(٤٢) .

كذلك قولهم أحوال الناس يوم القيامة شقى وسعيد دون فريق ثالث وأن كل فريق دائم الاقامة فى مكانه . قالوا : « وأيضا فان الرب تعالى ذكر حال الأشقياء وحال السعداء وربط الخلود بمكانهما ولم يذكر فى القرآن قسما ثالثا فقال : فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا ، وفى تفصيل الفريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير »(٤٣) .

تشير المعتزلة الى قوله تعالى : (يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد . فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السماوات والأرض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ)(٤٤) .

ومما قال القاضى عبد الجبار فى نفى الشفاعة ، أن شفاعة الرسول للفاسق شبيهة بالشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصد للآخر حتى يقتله فكلاهما قبيح . قال القاضى : « ان الشفاعة للفساق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا يتنزل منزلة الشفاعة لمن قتل ولد لغير وترصد للآخر حتى يقتله فكما أن ذلك قبيح فكذلك ههنا »(٤٥) .

ومن الأدلة أيضا قولهم : « أن الرسول اذا شفع لصاحب الكبيرة فلا يخلو اما أن يشفع أو لا ، فان لم يشفع لم يجز لأنه لم يقدح

(٤٢) المواقف ص ٣٧٦ .

(٤٣) نهاية الاقدام ص ٤٧٠ .

(٤٤) سورة هود الآيات ١٠٥ — ١٠٨ .

(٤٥) شرح الأصول ص ٦٨٨ .

باكرامه ، وان شفع فيـــه لم يجز أيضا لأنا قد دللنا على أن أثابة من لايستحق الثواب قبيح ، وأن المكلف لايدخل الجنة تفضلا »[٤٥] ٠

وحاصل هذه الأدلة مبنى على عدم استحقاق العاصى الثواب وأنه معاقب فى النار وعقابه دائم ولا يجوز دخوله الجنة تفضلا لأنه مكلف والمكلف لا يدخل الجنة تفضلا وان كان كذلك فلا يستحق الشفاعة ، وفى ما مضى غنية عن الرد هنا على هذه الأدلة ٠

الى غـــير ذلك من الأدلة التى أوردتها المعتـــزلة والتى تنبنى على استحقاق أهل الكبائر للعقاب الدائم بفسقه وقد رد على مثلها من قبل فلا داعى للاعادة خشية الاطالة ٠

ثانيا : أدلة الأشاعرة

استدلت الأشاعرة لاثبات شفاعة الرسول لأهل الكبائر بآيات من القرآن الكريم ، وبالسنة الشريفة .

أولا : الاستدلال بالقرآن :

١ — استدل الأشاعرة بقوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره »[1] وقوله تعالى : « ومن يعمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة »[2] ، وقالوا فى ذلك : « ان دخولهم الجنة لا يكون قبل دخولهم النار وفاقا فتعين أن يكون بعده ، وهو مسألة انقطاع العذاب أو بدونه وهو مسألة العفو العام » .

المقصود هنا بلا شك المؤمن العاصى الذى عمل ولو عملا واحدا صالحا بمقدار الذرة ، فالله يعده دخول الجنة ، واذا كان هناك عقابا بمقدار ما عمل من سيئة « ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » فى النار لا ينفى دخوله الجنة بعد ذلك بالشفاعة ، ووعد الله .

٢ — ومن الأدلة قوله تعالى : « واستغفر لذنبك وللمؤمنين »[3] قال فيها التفتازانى : « أى استغفر لذنوب المؤمنين ، فيعم الكبائر »[4] .

وقال الرازى فى هذه الآية : « أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر للمذنب منهم فاذا أتى بهذا الاستغفار ، فالظاهر أنه يشرفه الله تعالى بالاجابة اليه واذا أراد ذلك وجب أن يحصل ذلك المراد لقوله

---

(١) الزلزلة آية ٧ .

(٢) النساء آية ١٢٤ .

(٣) سورة غافر آية ٥٥ .

(٤) شرح المقاصد ص ١٥٧ ج ٥ .

تعالى : « ولسـوف يعطيك ربك فترضى » ، وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم « أعددت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى »[٥] .

٣ ـ واستدلت الأشاعرة ومن على مذهبهم أيضا بقوله‌تعالى : « فما تنفعهم شـفاعة الشافعين »[٦] قالوا : « أن هـذه الآية نزلت فى حق الكفار وتخصيصهم بهذه الحال يدل على أن حال المؤمن فى خلافه »[٧] فلو لم تنفع الشفاعة الكفار لنفعت المؤمنين للتفرقة بينهما ، والا لم يكن للتنبيه على أن الكافر لا ينفع معه الشفاعة معنى .

٤ ـ ومن الأدلة التى استدل بها الأشاعرة الآيات المشعرة بالخروج من النار وهى كقوله تعالى : « النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله »[٨] ، وقوله تعـالى : « فمن زحزح عن النـار وأدخل الجنة فقد فاز »[٩] .

ثانيا : الدليل من السنة :

ومن الأحاديث الدالة على الخروج من النار واستدل بها الأشاعرة قوله صلى الله عليـه وسلم : « يخرج من النار قوم بعدما امتحشـوا وصـاروا فحما فينبتون كما تنبت الجنـة من حميل السيل » . قال التفتازانى على هـذا الحديث وهو وان كان خبر آحاد الا أنه « خبـر الواحد وان لم يكن حجة فى الأصول ، لكن يفيد التأييد والتأكيد بتعاضد النصوص »[١٠] .

---

(٥) معالم أصول الدين ص ١٢٦ .

(٦) المدثر آية ٤٨ .

(٧) معالم أصول الدين ص ١٢٦ مسألة ١٣ .

(٨) الأنعام آية ١٢٨ .

(٩) آل عمران آية ١٨٥ .

ومن الأحاديث الدالة على دخول المؤمنين الجنة قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله دخل الجنة »[١١] . وتكملة الحديث كما ذكره البيهقى ، عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ويخرج من النار من قال لا اله ألا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن بره »[١٢] . وقوله صلى الله عليه وسلم : « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنى وان سرق »[١٣] .

* * *

ومما استدل به الأشاعرة على عدم تخليد صاحب الكبيرة فى النار مما يترتب عليه صحة الشفاعة له ، الأدلة على انتهاء العذاب أو قطع العذاب ودخول أهل الكبائر الجنة وخروجهم من النار ، هو ما أسس على قول المعتزلة فى الحسن فليس من الحسن الالهى تخليد من شرب جرعة من الخمر ، وشرب الخمر من الكبائر . مع مواظبته على الايمان والعمل الصالح مائة عام . وهذا يناقض قاعدة الحسن والقبح العقليين عند المعتزلة .

ومما ذكره التفتازانى أيضا القول بتناهى المعصية مما يترتب عليه تناهى الجزاء والشفاعة لأهل الكبائر . قال : « ان المعصية متناهية زمانا وقدرا ، فهل كونها متناهية زمانا فظاهر ، وأما كونها متناهية

---

(١٠) شرح المقاصد ص ١٣٦ جـ ٥ .

(١١) بشرح المقاصد ص ١٣٦ جـ ٥ .

(١٢) الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة البيهقى ص ١٠٦ .

(١٣) شرح المقاصد ص ١٣٦ جـ ٥ .

قدرا لما يوجـــد من معصية أشـــد منها وهو الكفر ، وان كانت المعصية متناهية فجزاءها يجب أن يكون متناهيا تحقيقا لقاعدة العدل الالهى ، بخلاف الكفر فانه لا يتناهى قدرا وان تناهى زمانا »(١٤) .

استدلت الأشـــاعرة كذلك بأن « المؤمن مستحق للثــواب بالايمان والطاعات ، واستحقاقه للثواب على قول المعتزلة عقلا وعند الأشاعرة وعد من الله تعالى ، فلا يزول هذا الاستحقاق بارتكاب الكبيرة على رأى الأشاعرة وعلى ذلك يلزم الثواب ولا يتم الثواب للمؤمن الا بالخروج من النار والدخول فى اجنة »(١٥) .

ان ما تقدم من رد الأشـــاعرة لأدة المعتزلة لهى أدلة لهم على صحة الشفاعة لأهل الكبائر فلا داعى للاعادة .

---

(١٤) المصدر السابق ص ١٣٦ جـ ٥ .

(١٥) شرح المقاصد ص ١٣٧ جـ ٥ .

أدلة أهل السنة على شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر

أورد أهل السنة لاثبات الشفاعة لأهل الكبائر كثير من الأدلة المستمدة من آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة .

أولا : الاستدلال بآيات القرآن الكريم :

١ — استدل أهل السنة بدعاء عيسى عليه السلام وابراهيم عليه السلام لأقوامهما على أنه شفاعة لأصحاب الكبائر . قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »(١) وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام : « فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم »(٢) .

قالوا فان دعاء عيسى وابراهيم عليهما السلام « لا يجوز حمله على الكافر ، لأنه ليس أهلا للمغفرة بالاجماع ، ولا حملة على صاحب الصغيرة ولا على صاحب الكبير بعد التوبة »(٣) .

الحاجة الى الشفاعة عند المعتزلة لزيادة الدرجات وليس لأهل المغفرة أو الخروج من النار ، والآية هنا تثبت الشفاعة لأهل المعصية بدليل قولهتعالى : « ان تعذبهم .. وأن تغفر لهم » فان العذاب والمغفرة لا يكونا الا لأهل الكبائر ، فالكافر لا تشمله مغفرة الله ورحمته .

٢ — الاستدلال بقوله تعالى : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ، ولا يملكون الشفاعة الا من

---

(١) المائدة آية ١١٨ .

(٢) ابراهيم آية ٣٦ .

(٣) الشفاعة العظمى ص ٤٥ .

اتخذ عنـد الرحمن عهدا »(*) . قالوا فى هذه الآية انها تدل على « أن المجرمين لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم ، الا اذا كانوا اتخذوا عند الرحمن عهدا وكل من اتخذ عند الرحمن عهدا — وهوالتوحيدوالاسلام — فوجب أن يكون داخلا تحته »(٤) ومثله فى قوله تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى » وقد سبق الاشارة اليها(٥) .

٣ — الاستدلال بقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرســول لوجدوا الله توابا رحيمـا »(٦) قالوا ان الآية ليس فيها ذكر التوبة والآية تدل على أن الرسول متى استغفر للعصاة والظالمين، فان الله يغفر لهم » . وقالوا ان هذه شــفاعة للرسول فى الدنيا وهى مقبولة فى حق العصاة « فوجب أن تكون مقبولة فى الآخرة ، لأنه لا قائل بالفرق » .

ان القول هنا ان الآية « ليس فيها ذكر التوبة» غير صحيح وذلك لأنها تدل على التوبة مفهوما ، قوله تعالى « جاءوك » تدل على التوبة ، أى مجيئهم الى الرســول تائبين ، فيستغفر لهم الرسول فالله تواب رحيم ، والتوبة قد تكون من الكبائر ومن الشرك أيضـا ولذلك صـح استغفار الرسول للمشرك التائب فى الدنيا ، لأنه فى الدنيا يتبع التوبة تصديق بالعمل الصـالح ، وأما فى الآخرة فلا يصـح الاستغفار من الرسول للمشرك لأنه لا عمل بعد .

(*) سورة مريم آية ٨٧ .
(٤) الشفاعة العظمى ص ٤٦ .
(٥) انظر ص ٦٧ .
(٦) النساء آية ٦٤ .

نكتفى بما ذكرت من الآيات المستشـــهد بها ونذكر طريقا آخرا لاثبات الشفاعة لأهل الكبائر كما قال أهل السنة والأشاعرة ٠

ثانيا : الأدلة من السنة :

١ ـــ استدل أهل الســـنة بقوله صلى الله عليـــه وسلم : « ادخرت شفاعتى لأهـــل الكبائر من أمتى »[٧] ٠ قالوا انها صريحة فى اثبـــات الشفاعة لأهل الكبائر ، وهو من أدلة المرجئة أيضا ٠

وقد رد المعتزلة هذا الحديث بعدة وجوه قالوا ان هذا الحديث غير صحيح حيث أنه آحاد ومعارض لما جاء فى القرآن الكريم ، واذا تعارض حديث الآحاد مع القرآن وجب رده[٨] ٠

وقالوا كذلك ان هـــذا الحديث يتعارض مع أحاديث أخرى للرسول تنفى دخول صـــاحب الكبيرة الجنة من قوله صلى الله عليـــه وسلم : « لا يدخل الجنة نمام ولا مدمن خمر ولا عاق » وقد سبق الاشارة لهذا الحديث وما هو فى معناه والرد عليه ٠

وقال المعتزلة أيضا فى رد هذا الاستدلال أنه ان صح هذا الحديث فيكون المراد به « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى اذا تابوا » لأن ثوابه يكون بقدر ما قد استحقه بالتوبة ولذلك فهو فى حاجة الى التفضل عليه بالشفاعة له[٩،١٠] ٠

وقالوا أيضا أن المراد من الحديث الاستفهام بمعنى الانكار ، يعنى « أشفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » ؟ ! كما أن المراد من قوله : « هذا

---

(٧) الترمذى كتاب القيامة ٠

(٨) شرح الأصول ص ٦٩٠ ٠

(٩،١٠) قد رد على هذا القول من قبـــل وهو كون الشفاعة للتـــائبين شرح الأصول ص ٦٩٠ ٠

ربى » أى : أهذا ربى ، أى أنه استنكار أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر ، وعلى معنى هذا التأويل للحديث كما ذكره المعتزلة ، ما ذكره الشيخ عبد السلام المالكى عن المعتزلة « لاتنال شفاعتى أهل الكبائر من أمتى » وقال عنه انه موضوع باتفاق وبتقدير صحته فهو محمول على من ارتد منهم[١١] .

ومن اعتراضـــات المعتزلة على الاستدلال بهذا الحديث قولهم أن الكبيرة لا تخص المعاصى وحدها بل تتناول المعصية والطاعة كما فى قوله تعالى على الصلاة « انها لكبيرة الا على الخاشعين » وعلى ذلك فقوله « لأهل الكبائر » قد يراد منهـــا أهل الطاعات الكبيرة ، وقالوا لأن قوله « أهل الكبائر » ان كانت كلمة الكبائر عامة تعود على الطاعات الكبيرة والمعاصى الكبيرة ، الا أن كلمة « أهل » مفرد فلا يفيد العموم فيكفى فى صدق الخبر شخص واحد من أهل الكبائر » ولذا فقد حمله المعتزلة على الشخص الآتى بكل الطاعات فيحمل الحديث على ذلك وهو أن الشفاعة لأهل الطاعات الكبيرة[١٢] .

ان المعروف من اطلاق كلمة الكبائر انها مصروفة الى المعاصى الكبيرة التى يستحق بها فاعلها دخول النار .

ومن الأدلة أيضا التى احتج بها أهل السنة والأشاعرة ما أوردته كتب الصحاح من حديث الشفاعة . جاء فى صحيح مسلم عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجمع الله الناس يوم القيـــامة فيهتمون لذلك ، وقال ابن عبيـــد فيلهمون لذلك . فيقولون فلو استشفعنـــا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هـــذا قال

---

(١١) اتحاف المريد ص ١٥٣ .

(١٢) الشفاعة العظمى ص ٥٢ .

فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنـــا من مكاننا هذا فيقول لست هنـــاكم فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم صلى الله عليه وسلم الذى اتخذه الله خليلا فيأتون ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ، ولكن ائتوا موسى صلى الله عليه وسلم الذى كلمه الله وأعطاه التوراة ، قال : فيأتون موسى عليه السـلام فيقول لست هناكم ويذكر خطيئتـه التى أصاب ، فيستحى ربه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : فيأتونى فأستأذن على ربى فيؤذن لى ، فاذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ربى ثم أشـفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسـمع سل تعطه اشفع تشـفع فأرفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لى حدا فأخرجهم من النار وادخلهم الجنة ، قال فلا أدرى فى الثالثة أو فى الرابعة ، قال : فأقول يا رب ما بقى فى النار الا من حبسـه القرآن أى وجب عليه الخلود . قال ابن عبيدة فى روايته قال قتادة أى وجب عليه الخلود »(١٣) .

قالت المعتزلة فى الرد على الاستشهاد بهذا الحديث ان « الكلام على هذا الخبر وأمثاله من وجوه : ان هذه الأخبـار أخبار طويلة فلا يمكن

(١٣) صحيح مسلم باب الشفاعة ج ١ ص ٤٦٣ .

ضبطها بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، والظاهر أن الراوى انما رواها بلفظ نفسه ، وعلى هذا التقدير لا يكون شىء منها حجة • وثانيها : أنها خبر عن واقعة واحدة ، وأنها رويت على وجوه مختلفة ، مع الزيادات والنقاصات ، وذلك أيضا مما يطرق التهمة اليها • وثالثها : انها مشتملة على التشبيه • وذلك باطل أيضا • ورابعها : انها وردت على خلاف ظاهر القرآن • وخامسها : انها خبر عن واقعة عظيمة تتوافر الدواعى على نقلها ، فلو كان صحيحا لوجب بلوغه الى حد التواتر ، وحيث لم يكن كذلك ، فقد تطرقت التهمة اليها • وسادسها : أن الاعتماد على خبر الواحد الذى لا يفيد الا الظن فى المسائل القطعية غير جائز »[١٤] •

وقد رد اعتراض المعتزلة هذا بأن كل واحد من هذه الأخبار وان كان مرويا بالآحاد ، الا أنها كثيرة جدا ، وبينها قدر مشترك واحد وهو خروج أهل العقاب من النار ، بسبب الشفاعة ، فيصير هذا المعنى مرويا على سبيل التواتر ، فيكون حجة »[١٥] •

وقد قيل أن هذه الشفاعة التى لأهل الكبائر يشترك فيها الملائكة — وقد مر الدليل على ذلك —[١٦] ويشترك فيها الأنبياء السابقين ، ويدل على ذلك ما جاء من دعوة عيسى عليه السلام بقوله : « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » وكذلك قول ابراهيم عليه السلام : « فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم » •

---

(١٤) الشفاعة العظمى ص ٥٥ •

(١٥) المرجع السابق والصفحة •

(١٦) من الآيات التى تدل على استغفار الملائكة للمؤمنين •

فقد قال الرازى : « أن هذه الدعوة أو الشفاعة أنما وردت فى حق المسلم صاحب الكبيرة قبل التوبة »[١٧] .

هــذا القول وان كان صحيحا الا أن الأجدر حمل شــفاعة عيسى وابراهيم عليهما الســلام لأصحاب الكبائر ممن تبعوهم ، فانه لا ريب أن من تبع عيسى وابراهيم عليهما السلام من أتى بالمعاصى الكبيرة مع ايمانه بالله تعالى وتوحيده ، والدليل على ذلك ما جاء فى صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام تلا قوله فى ابراهيم ، وقول عيسى عليهما السلام ، ثم رفع يديه وقال : « اللهم أمتى أمتى — وبكى — فقال الله تعالى يا جبــريل اذهب الى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك . فأتاه جبريل ، فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال ، فقال الله عز وجل : يا جبــريل اذهب الى محمد ، فقل له : انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك »[١٨] .

فالحديث يدل على أن كلا من عيسى وابراهيم يشــفعان لأتباعهما فسأل محمد صلى الله عليه وسلم الله الشفاعة لأمته بقوله « اللهم أمتى أمتى » فاستجاب الله لدعائه .

وهذه الشــفاعة أيضا التى للمؤمن العاصى صاحب الكبيرة يشترك فيها المؤمنــون ، فقد قال صلى الله عليه وسلم فى أحد أحاديث الرؤية أنه بعد نجاة المؤمنين من النــار يقولون : « ربنا اخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا ، فيقول الله تعالى :« اذهبوا فمن وجدتم فى قلبــه مثقال دينار من ايمان فأخرجوه ، ويحــرم الله صورهم على النار فيأتونهم ... فيخرجون من عرفوا ثم يقولون ،

---

(١٧) الشفاعة العظمى ص ٤٥ .

(١٨) صحيح مسلم باب اثبات الشفاعة .

فيقول : اذهبــوا فمن وجدتم فى قلبــه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ٠٠ فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون ، فيقول الجبار بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة »[١٩] ٠

والحديث من ناحيــة أخرى دليل قوى على صحة الشــفاعة لأهل الكبائر ٠

---

(١٩) فتح البارى ج ١٣ ص ٤٢١ كتاب التوحيد رقم ٧٤٣٩ باب قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » . انظر رسالة قواعد العقائد فى التوحيد ، الغزالى ص ١٤ ، ١٥ .

المبحث الـرابع
شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعض المشركين

شفاعتــه لعمه أبى طالب

ومن أنواع الشفاعة التى ذكرت فى كثير من المصادر شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب . قال الشيخ عبد السلام المالكى « فيمن خلد فى النار من الكفار أن يخفف عنهم العذاب فى أوقات مخصوصـة كأبى طالب وأبى لهب »(١) وقد ذكرها ابن تيميـة أيضا وخصها بعمه صلى الله عليه وسلم أبى طالب .

وقد جاء فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن أبى سعيد الخدرى أنه سمع رســول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى خضخاض من النار يبلغ كعبيه يغلى منه أم دماغه »(٢) .

الا أننى أرى أن هذه الشفاعة غير صحيحة حيث أننى قد بينت من قبل أمر الله تعالى المؤمنين ألا يستغفروا للكفار ، وأبو طالب مات على الكفر ، وأبو لهب قد أخبـر الله تعالى بموته على الكفر ومات عليه . وكان من أسباب نزول آية عدم الاستغفار للمشركين أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا أبى طالب للايمان ولكنه أبى الا الكفر مما يدل على

---

(١) اتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام المالكى على جوهرة التوحيد ص ١٥٣ .

(٢) حديث رقم ٦٥٦٤ ص ٤١٧ ج ١١ كتاب الرقاق .

اصراره على الشرك ، فقال له الرســول أنه سوف يستغفر الله له ما لم يمنعه الله ، وقد منعه الله بهذه الآية الكريمة(٣) ٠

كما أن ما ذكره الشيخ عبد السلام المالكى من ذكر أبى لهب لايجوز صحته حيث أن الله تعالى أخبر محمد صلى الله عليــه وسلم بأنه كافر ويموت على الكفر ولذلك لم يفعل معه الرسول كما فعل مع عمه أبى طالب من حثه على الايمان حيث أن الله لم يخبره عن موته على الكفر الا بعد اعراض أبى طالب واصراره على الكفر بقوله تعالى : « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين »(٤) ٠

ولو كانت الشفاعة جائزة فى حق أبى طالب وأبى لهب لكان أولى بها والد الرسول صلى الله عليه وسلم وأمه حيث ماتا عى الكفر ، ومعهما العذر وهو أن الرسول لم يكن قد أرسل بعد ولا دعاهما للايمان ، ولم يرد من الأحاديث أن الرسول أخبر بأنه سوف يشفع لأمه وأبيه ٠

وما ورد فى ذلك ما ذكره فى التذكرة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب الى قبر أمه وأبيه فأحياهما الله له فدعاهما للايمان فآمنا ، وقد قيل ان هذا الحديث غير صحيح ، وأرى أنه كذلك لأنه قد قيل أن من أحد أســباب نزول آية منع المؤمنين من الاســتغفار للمشركين أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب الى قبر أمه يستغفر لها فنزلت هذه الآية والله تعالى أعلم ٠

ولفظ الحديث الذى ذكر فى التذكرة هو عن عائشة رضى الله عنها قالت : « حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بى

---

(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٨١ وفاة أبى طالب رقم ٣٨ ٠

(٤) سورة القصص آية ٥٦ ٠

على عقبة الحجون ، وهو باك حزين مغتم ، فبكيت لبكائه — صلى الله عليــه وسلم — ثم انه طفر — أى وثب — فنزل فقــال : يا حميراء استمسكى »[٥] فاستندت الى جنب البعير . فمكث عنى طويلا ثم عاد الى وهو فرح مبتسم فقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، نزلت من عندى وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك يا رسول الله ، ثم انك عدت الى وأنت فرح مبتسم فعن ماذا يا رسول الله ؟ فقال : « مررت بقبر أمى آمنة فســألت الله ربى أن يحييها فأحياها فآمنت بى — أو قال — فآمنت وردها الله عز وجل » .

وقال القرطبى ان هذا لفظ الخطيب . وقد ذكر السهيلى فى الروض الأنف باسناد فيــه مجهولون « أن الله تعالى أحيا له أباه وأمه وآمنا به » . وقال القــرطبى فى هذا الحديث انه لا يعــارض آية النهى عن الاستغفار للمشركين « لأن احياءهما متأخر عن النهى بالاستغفار لهما . بدليل حديث عائشة رضى الله عنها : أن ذلك فى حجة الوداع ، وكذلك جعله ابن شاهين ناسخا لما ذكر من الأخبار »[٥] .

وقد قيل ان هذا الحديث السالف الذكر عن السيدة عائشة موضوع يرده القرآن العظيم والاجماع وذلك فى قوله تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما)[٦] .

ان الواضح من الآية أن العذاب الأليم للكفار الذين ماتوا بكفرهم يكون بعد دعوة الرسول لهم للايمان ، أما كون من مات على كفره قبل

---

(٥) التذكرة فى احوال الموتى وامور الآخرة ص ٤٤ القرطبى من لسان الميزان ٤ / ٨٥٤ ، الموضوعات لابن الجوزى ١ / ٢٨٣ .

(٦) سورة النساء ١٨ التذكرة ص ٤٥ .

أن تبلغه دعوة الرسول فأمره موكول لله تعالى . قال تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رســـولا) . وهذا لا يمنع دخولهم النار لاعتبارات أخرى يعلمها الله تعالى كأن يرتكب ما لا يقره عقل ولاعرف ولاعادات حسنة نشأ عليها ، فان العقل فى الانسان هداية من الله تعالى فيما عدا الأمور التى لا تعرف الا من قبل النقل ، فالعقل لا يقر السرقة من الغير ولاالزنى ولاالكذب الى غير ذلك من الرذائل التى يستقل العقل بمعرفة عموميانها ، والله تعالى أعلم .

وأرى هنا أن حديث عائشة يعارض ما جاء فى مسلم عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله : أين أبى ؟ قال : « فى النار » فلما قفا دعاه وقال : « ان أبى وأباك فى النار »[٧] ، وهما كانا من أهل الشرك كما أن آية الأمر بعدم الاستغفار للمشركين تنفى صحة هذا الحديث .

كما أن الاستغفار أو الشفاعة للكافر لتخفيف العقاب كما هو مفهوم الحديث السابق مردود بقوله تعالى عن الكفار : « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئـــك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون »[٨] .

---

(٧) صحيح مسلم باب الايمان ٣٤٧ مسند ابن حنبل ٣ / ١١١٩ .
(٨) سورة البقرة آية ١٦١ — ١٦٢ .

الشفاعة لأطفال المشركين

ومن أنواع الشفاعة كما جاء فى بعض المصادر « الشفاعة فى أطفال المشركين أن لا يعذبوا »[١] وقد عارض هذه الشفاعة البعض الآخر .

فعلى سبيل المثال قال الشيخ عبدالسلام المالكى ان أطفال المشركين فى الجنة ، فجاء فى تفسير قوله تعالى « فمنهم شقى وسعيد » دخل فى الشقى الكافر — الجاهل والمعاند ومن بالغ فى النظر فلم يصل الى الحق ولايدخل فيه أطفال المشركين بل هم فى الجنة على الصحيح »[٢] .

وجاء فى حاشية الأمير « ان جمهور أهل العلم على نجاة الصبيان مطلقا وهم فى الجنة ولو أولاد الكفار »[٣] .

وقد ذهب المعتزلة الى أنه لا يجوز تعذيب أطفال المشركين ، وذلك لأن تعذيب الغير من غير ذنب ظلم والله تعالى لا يجوز أن يكون ظالما باتفاق الأمة ، ولأنه قبيح ، والله تعالى لا يفعل القبح لعلمه بقبحه وبغناه عنه .

وقد استدلوا على ذلك بالسمع من الكتاب والسنة ، فمن الكتاب قوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، وقالوا فى ذلك : « ومعلوم أن الأطفال لم تبعث اليهم الرسل فيجب أن لا يعذبهم الله تعالى على ما نقوله » . واستدلوا أيضا بقوله تعالى : « كل نفس بما

---

(١) شرح المقاصد ج ٥ ص ١٣٧ .

(٢) اتحاف المريد شرح الشيخ عبد السلام ص ١٠٥ .

(٣) حاشية محمد بن محمد الأمير على شرح عبد السلام المالكى اللقانى على جوهرة التوحيد ص ١٥١ .

كسبت رهينة » وقالوا فى هذه الآية أن : « الطفل لم يكتسب اثما حتى يعذب » •

ومن السنة أستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن الصبى حتى يبلغ » وقالوا فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم : « بين أن القلم مرفوع عنه ، وان يكون كذلك الا ولا يحسن تعذيبه ، فصح أن تعذيب أطفال المشركين ظلم ، وأنه تعالى لا يختاره »(٤) •

وعلى ذلك فلا شفاعة للرسول لأطفال المشركين ، الا أن يقال أذن الله له بالشفاعة تكريما للرسول لدخولهم الجنة حيث وعد الله أو قضاء الله ، وليس لأن الله تعالى قضى عليهم العذاب وشفاعته صلى الله عليه وسلم تكون لعدم تعذيبهم •

تلك كانت أنواع الشفاعة فى الآخرة جمعتها من مصادرها الأصلية على قدر الطاقة •

---

(٤) شرح الأصول الخمسة ص ٣٧٧ — ٣٧٨ •

خاتمة البحث

بعد هذا العرض الموجز لموضـــوع الشفاعة رأينا أن الله تعالى حث فى كتابه العزيز على الشفاعة فى الدنيا وأن الرسول صلى الله عليه وسلم رغب المؤمنين فيها ، وأن الله تعالى ســمع ادعاء الرسول بأن أعطى له الشفاعة فى الآخرة ٠

وبين الشفاعة فى الدنيا والآخرة فروق أظهرها الله تعالى ضمن آيات كتابه الكريم وأوضحها الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه الشريفة ، فالشفاعة فى الدنيا لا تعود فائدتها على المشـــفوع له فقط وانما شملت الشفيع ، فالشفيع مأجور عليها وحكمتها التواد والتراحم بين المسلمين ٠

والشـــفاعة فى الآخرة تكريم للرســـول صلى الله عليه وسلم وبيان لعلو منزلتـــه ، واظهار لمقامه المحمود بين الخلق أجمعين حتى ان الكافر شملته شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن شفاعته لأهل الموقف ، ومن جهة أخرى فالشـــفاعة فى الآخرة بيـــان لرضى الله تعالى عن أهل التوحيـــد حتى العصاة منهم وبيان فضلهم على غيرهم من أهل الشرك ، ولذلك كانت الشـــفاعة ــ بعد الشفاعة لأهل الموقف خاصـــة بالمؤمنين فقط ٠

ولما كان المؤمنـــون منهم المؤمن الحق الذى جاهد نفســـه لمحاربة الفســـاد فى الأرض والتغلب على نزعات الهوى ، ومنهـــم من عصى الله تعالى بمعاص لا ترقى به الى حد الكبيرة ، ومنهم من تســـاوت حسناته وسيئاته ، ومنهم من كان مع توحيـــده وايمانه بالله أهل كبيرة ، فقـــد اختلف العلماء فى مسألة لمن تكون شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وتعـــددت الأقوال والآراء فى ذلك حتى اننا رأينـــا البعض يذكر أنواعا للشفاعة دون أن يقيم عليها دليل قوى من القرآن الكريم أو السنة المطهرة وقد بينت ذلك فى ثنايا البحث مع التعليق عليه ٠

فلم يكن هنـــاك اجماع من المؤمنـــين على واحدة بعينها من أنواع الشفاعة سوى الشفاعة لأهل الموقف فى فصل القضاء ، وأكثر ما وقع فيه الخلاف هو شفاعتـــه صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر ، فبالرغم من ورود الأحاديث الصحيحة على الشفاعة لهم فقد أنكر المعتزلة هذه الشفاعة ، وما كان الاختـــلاف فيها الا اختلاف المثبتين والنافين لها فى المذاهب المختلفة التى هى مبادىء أساسية للقول بالشفاعة ، من هذه المسائل العدل الالهى عدم تخلف الوعيد ، الثواب والعقاب ، والتحسين والتقبيح العقليان والاحباط والموازنة لدى المعتزلة خاصة ٠

وفى الحقيقة من أنكر الشـــفاعة لأهل الكبائر لم يعرف العدل الالهى حق معرفتـــه فليس من العدل الالهى أن يســـوى الله تعالى بين المؤمن العاصى والمؤمن الذى جاهد نفسه لمحاربة الفساد فى الأرض فكان دخول المؤمن التقى الجنة بعمله ورحمته ومغفرته تعالى ، كما أنه ليس من العدل الإلهى أن يســـوى الله تعالى بين أهل التوحيـــد وبين الكفار والمشركين المعاندين ، فلابد أن يكون هناك فرق بينهما ٠ قال تعالى : (أم نجعل الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) ٠ وقال ســـبحانه : (وما يستوى الأعمى والبصـــير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون) ٠

فليس من العـــدل الالهى أن يســـوى الله بين المؤمن التقى والمؤمن المسىء ويدخلهما الجنة ، الا أن يتغمد الله تعالى المؤمن العاصى برحمته ومغفرته لحكمة لا يعلمها الا الله تعالى ، وليس من العدل الالهى أيضا

أن يخلد الله تعـــالى المؤمن العاصى فى النار ويســـوى بينه وبين المشرك الكافر لارتكابه معصية واحدة أو أكثر ٠

ولم يعرف هؤلاء الذين ينكرون شفاعته صلىاللهعليهوسلم أنه ليس لرحمـــة الله تعالى ومغفرته حـــد فالله يغفر الذنوب جميعـــا الا الشرك بالله ٠

وخروج العاصى من النار لا يعارض وعيد الله تعالى للعاصى حيث أنه دخل النار لقضاء ما عليه من ذنوب ومعاص جزاءا وفاقا مع مراعاة الله تعالى بحق المؤمنين عليه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم جاء فى الصحيحين قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه ، وهو رديفـــه : « يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على عبـــاده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، أتدرى ما حق العباد على الله اذا فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقهم عليـــه أن لا يعذبهم »(١) فحق المؤمن على الله تعـــالى أن يدخله الجنة ٠

وليس فى الشفاعة تغيير لقدر الله تعالى ، فالشفاعة قدر الله تعالى ، فالله يعلم منذ الأزل دخول أهل النار النار ، ويعلم أزلا أنه تعالى يأذن للرسول صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فيخرجهم تعالى من النار بعد قضاء ماعليهم من الذنوب ، ولذلك لم يكن خروج أهل الكبائر دفعة واحدة ولكن كل حسب ما عليـــه من معاص ، حتى ان الرســـول صلى الله عليه وسلم يشفع لهم أكثر من مرة حتى لم يبق فيها الا من قال لا اله ألا الله

---

(١) متفق عليه حديث ابن عباس .

فيخرجه سبحانه وتعالى ، وهذا منتهى العدل الالهى مع المغفرة والرحمة قضاءا لوعده ووعيده ٠

أســـأل الله تعالى أن يجعل هذا البحث المتواضع

خالصا لوجه الله تعالى ، وأن ينفع به المسلمين ٠

القاهرة أكتوبر ١٩٩٤م ٠

د٠سلوى عبد الرحمن محمد يونس

قائمة بأسماء المراجع

١ ـ القرآن الكريم ٠

٢ ـ فتح البارى لشرح صحيح البخارى ٠

٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ٠

٤ ـ تفسير الجلالين ٠

٥ ـ الجامع لأحكام القرآن ـ تفسير القرطبى ٠

٦ ـ جامع البيان فى تفسير القرآن ـ أبى جعفر بن جرير الطبرى ٠

٧ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ النيسابورى ٠

٨ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ٠

٩ ـ الابانة فى أصول الديانة ـ أبو الحسن الأشعرى ٠

١٠ ـ احياء علوم الدين ـ الغزالى ٠

١١ ـ الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ٠
للامام الحافظ الكبير أبى بكر أحمد بن حسين البيهقى بيروت ٠

١٢ ـ الايمـــان ـ ابن تيمية ٠

١٣ ـ كتاب التوحيد ـ محمد بن عبد الوهاب ٠

١٤ ـ التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة تأليف القرطبى ٠
تقديم : ا٠د / حمزة التشرتى ٠ الشيخ عبد الحفيظ فرغلى ٠
ا٠د / عبد الحميد مصطفى ٠

١٥ ـ ثلاث رسائل للقشيرى « لمع فى الاعتقاد ـ بلغة المقاصد » ٠
الفصول فى الأصول عبدالكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى
تقديم وتحقيق د٠الطبلاوى محمود سعد ٠

١٦ — حاشية محمد الأمير على شرح عبدالسلام على جوهرة التوحيد الطبعة الأخيرة ١٩٤٨م .
١٧ — رسائل العدل والتوحيد .
١٨ — رسالة قواعد العقائد فى التوحيد — الغزالى الطبعة الأولى .
١٩ — الشامل فى أصول الدين لامام الحرمين الجوينى .
٢٠ — شرح الأصول الخمسة .
٢١ — شرح العقيدةالطحاوية — حققها وراجعها جماعة من العلماء .
٢٢ — شرح العقيــدة الواسطية — لشيخ الاســلام ابن تيمية — الطبعة الرابعة .
٢٣ — شرح المقاصد — للتفتازانى .
٢٤ — الشفاعة العظمى — للرازى .
٢٥ — العقائد العضدية .
٢٦ — غاية المرام فى علم الكلام — سيف الدين الآمدى .
٢٧ — الفصل فى الملل والنحل — ابن حزم .
٢٨ — لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة .
لعبد الملك الجوينى (امام الحرمين أبو المعالى) .
٢٩ — مدارج السالكين — ابن القيم الجوزية .
٣٠ — معالم أصول الدين — فخر الدين الرازى .
٣١ — مقالات الاسلاميين — الأشعرى .
٣٢ — نهاية الاقدام فى علم الكلام — عبد الكريم الشهرستانى .

الفهـرس

رقم الايداع بدار الكتب ٩٨٠٧ لسنة ١٩٩٤
I. S. B. N : 977 - 00 - 7830 - 1

مطبعة الفجــر الجديد
٤٤ شارع الكبارى منشية ناصر بالدراسة